جامعة آل البيت

Al al-Bayt University

الادب العربي بين الدلاله والتاريخ

عدنان عبيد العلي

منشورات جامعة آل البيت

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(٢٠٠٠/١٢/٣٢١٨)

٨١٠

علي العلي، عدنان عبيد

الأدب العربي بين الدلالة والتاريخ / عدنان عبيد العلي. – المفرق جامعة آل البيت، ٢٠٠٠.

ر.أ (٢٠٠٠/١٢/٣٢١٨)

الوصفات //الأدب العربي/

- تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المطبعة الوطنية

المتابعة والاخراج الفني: خالد محمد الخالدي

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

تقوم هذه الدراسة النقدية الجريئة على فصلين يكمل أحدهما الآخر، أما الفصل الأول فيتناول بالدراسة والتحليل مفهوم مصطلح " الأدب " واستقراء دلالاته المختلفة منذ المراحل المبكرة التي ظهر فيها وانتهاء بأحداث المفاهيم التي بات يحملها لفظ " الأدب " في الأدبيات النقدية المعاصرة ذات الصلة بالتنظير النقدي الأوروبي.

وقد حاول المؤلف جهده في هذا الفصل أن يستقصي الدلالة استقصاء جيدا في المظان الأدبية والمعاجم اللغوية والاصطلاحية على كثرتها وتنوعها، وخلص في ذلك إلى نتيجة مهمة، وهي أن دلالة الأدب لم تستقر، وأنها ما زالت تنمو يوما بعد يوم، وقد أفضى إلى هذا التوسع في المفهوم تلك السعة التي أصبح يحملها الأدب بوصفه مادة الحياة كلها.

ويشكل هذا الفصل انطلاقة حسنة للفصل الآخر، إذ إن تحديد دلالة الأدب ومفهومه بصورة دقيقة يسوقنا إلى استخلاص مناهج ناجعة لتاريخه وتسجيل ظواهره وملامحه وموضوعاته وأعلامه، وهكذا ينطلق الباحث في الفصل الثاني نحو دراسة مناهج تاريخ هذا الأدب، وتحديد ملامحها، ومعرفة سلبياتها وإيجابيتها، من خلال رصد مجموعة كبيرة من كتب تأريخ الأدب القديمة والحديثة.

ويدعو الباحث في هذا الفصل إلى الأخذ بالمنهج الاقليمي كونه أنجح من غيره في التاريخ للأدب العربي، مع ضرورة عدم اطباق النظر عن معطيات المناهج الأخرى التي تمد مؤرخ الأدب بنظرات قيمة في تشكيل تأريخ دقيق شامل للأدب العربي.

ويسرني وأنا أقدم للمهتمين بالأدب العربيّ هذه الدراسة المعمقة أن أُشيد بما بذله الزميل د. عدنان عبيد العلي، عضو هيئة التدريس في قسم اللغة العربية بالجامعة، من جهد خالص صادق دؤوب ظهر واضحاً في نظراته النقديّة المبثوثة في هذه الدراسة.

ولا يفوتني أن أشكر لكل من ساهم في إخراج الكتاب وطباعته وتدقيقه.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

رئيس الجامعة

(أ.د. محمد عدنان البخيت)

المفرق ١٨ رمضان ١٤٢١هـ

الموافق ١٤ كانون الأول ٢٠٠٠م

المحتوى

مقدمة

هذه محاولة... أو مقدمة لمحاولة استقرائية تبغي التعرف إلى مفهوم لفظة (الأدب) ودلالته العربية من اجل أن يكون هناك منهج لتاريخه. فقد عرف– عندنا وعند الأوربيين – أيضاً منذ الجاهلية المنظورة حتى الوقت الحاضر. ان الأدب لم يكن ذا دلالة محددة كغيره من العلوم، أو الموضوعات. بل كان نموه الدلالي في اطراد اكسبه اكثر من غيره اطلاقاً وشمولاً. خاصة منذ القرن الرابع الهجري. حتى وصل الى القرن التاسع على يد ابن خلدون (موضوعا لا موضوع له) وبسبب هذه الشمولية قال بعض المحدثين من العرب– في محاولة للتحديد–قالوا: ان للادب معنيين:معنى عاماً وآخر خاصاً.ولعل ذلك تقليد للاستخدام الأوروبي في تحديد هذين المصطلحين وان كان هذا موجودا في الاستخدام العربي القديم من حيث المبدأ دون تحديد اصطلاحي فالأوروبيون يطلقون لفظة (literature) التي تعني الأدب عندنا يطلقونها –بدلالتها الأعم– على كل ما هو مقروء أو مكتوب ... بل ما هو مسموع بصرف النظر عن موضوعها ومعنى خاص يشمل الشعر والنثر الفني الذي يحمل قدرا من الإثارة بسبب صياغته الجميلة بصرف النظر عن موضوعه أيضا فالكتب الفلسفية عندهم أدب بمعنى خاص إذا كانت صياغتها جميلة.

اما تاريخ الأدب – عندنا – فلم يوفق في تسجيل الأدب إذ جاءت أخباره وموضوعاته واعلامه متناثرةً لا يربطها رابط ولا يجمعها كتاب أو كتب محدده ربما بسبب حال علم التاريخ المتخلف عندنا وثانيهما عدم حصول اتفاق على معنى للادب يؤرخ له فواحد يؤرخ للغويين ويعدهم الأدباء وأخر يؤرخ لكل علم ولكل عالم ويعد الجميع ادباء وهكذا. هذا فضلا عما أصاب التاريخ عامة والتاريخ الأدبي من مظاهر الفساد والقهر وغياب الموضوعية.

وفـي العصـر الحديث أرخ لأدبنـا منـذ القرن التاسـع عشـر وفـق منـاهج أوربيه في صياغتها الحالية – عربية فـي بعض جذورهـا. وفرضـت علـى ادبنـا تقسـيمات حـادة اعتمـدت العـامل الواحد فـي التفسـير أو التـاريخ للحيـاة الأدبيـة وظواهرها. دون مراعاة – في اغلب الأحيان – لطبيعـة ادبنـا ولغتـه وأصحابـه. ففرض التقسيم السياسي الـذي نـدرس الأدب العربـي مـن خلالـه.. وفـي ضوئـه. واخضـع الأدب في مختلف عصوره ومراحله الـى تقسـيمات اعتمدهـا الأوربيـون في التأريخ لأدبهم. وبسبب هذا الإخضـاع تولدت أمراض علمية برزت فـي شـكل (حتميـات) و(مسلمات) يحـاول –غالبـا– إخضـاع الحيـاة الأدبيـة لـ(قوانينهـا) و(معادلاتها!) واليوم نحن مدعوون لتحديـد موضـوعنـا بصـورة افضـل وأدق فـي غمرة التخصص والنهوض العلمي بقدر يمكن للمرء فيه ان يواكب حركة التطور السريعة والمتشعبة وأن نبحث عن منهج لتاريخ الأدب العربي ينسجم مع طبيعتـه ولغته ومجتمعه ونؤرخه من جديد على أسس علمية موضوعيه يقوم عليها رجـال أكفاء مخلصون فقد تفرد هذا الأدب – بعموم دلالته – تفردا" بأن ضم ألوانا شـتى من الاقوام والمذاهب والعقائد والتيارات ولكنه كتب بلغة واحدة ممـا لـم يكـن فـي أية لغة أو أمة أخرى.

علينـا أن نبحـث عـن منهـج تكـاملي – قـدر الإمكـان – لا يعتمـد العـامل الواحد في الأدب ونقده. وهو ما تتوافر النيـة للسـعي اليـه والعمـل علـى طريقـه. وامتنا أحوج ما تكون اليه العلم والإخلاص. والله الموفق.

عدنان عبيد العلي

الفصل الأول

عن دلالة الأدب ونموها

(١)

لم يعرف عن لفظة الأدب انها استعملت في العصر الجاهلي للدلالة على مأثور الكلام من شعر أو نثر. إلا ان لفظة (أدب) بتسكين الدال وردت في المعاجم العربية[١] للدلالة على معنى حسي وهو : الدعوة إلى الوليمة ومنه المأدبة -بالضم والفتح- وذكرت تلك المعاجم قول صخر الغي[٢] يصف عقاباً:

كأن قلوب الطير في قعر عشها

نوى القسب ملقى عند بعض المآدب[٣]

وقالت تلك المعاجم: الآدب الداعي إلى الطعام مستشهدة ببيت طرفه[٤]

نحن في المشتاة ندعو الجَفَلى

لا ترى الآدِب فينا ينتقر[٥]

وذكرت المعاجم المذكورة لكلمة (أدب) دلالتين معنويتين هما: العجب، والظرف وحسن التناول. إلا أن أصحاب المعاجم لم يستدلوا على المعنيين

---

(١) الفيرو آبادي محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٥م)، القاموس المحيط، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ج١، ١٣٣١ هـ/١٩١٣ م، ص ٣٦.

- ابن دريد محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/٩٣٣م)، جمهرة اللغة، ط١، ج٣، دائرة المعارف الإسلامية، حيدر أباد، الهند، ١٣٤٥ هـ /١٩٢٦م، ج٣ ص ٣٦٦، ٤٨١.

(٢)الفيومي احمد بن محمد بن علي (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م)، المصباح المنير، ج١، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣١٦ هـ/١٨٩٨ م ص ٦.

(٢) انظر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٤، ج٢، مطبعة الخانجي، مصر، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م، ص ٢٧٥.

(٣) القسب: تمر يابس صلب النوى. شبه قلوب الطير في وكر العقاب بنوى القسب.

(٤) طرفة بن العبد (نحو ٥٦٤م)، الديوان، شرح يوسف الاعلم الشمنتري، مطبعة برطرند، ١٣١٨ هـ/١٩٠٠ م، ص ٦٠.

(٥) المشتاة: الشتاء، الدعوى الجفلى:العامة، لاينتقر: لايدعو أناساً دون آخرين.

المذكورين بنص جاهلي. غير ان ابن منظور(٦) استدل على معنـى التعجب بيت ذي الرمة وهو أموي العصر الذي يقول فيه(٧):

أدْباً على لبّاتها الحوالي هزّ السنى في ليلة الشمال

لكننا نقرأ استخدماً جاهلياً للفظة (الآدب) فـي معنـاه الأخلاقي فـي حكمـة لاكثم بن صيفي(٨) يقول فيها(٩): ((الرجل بلا أدب شخص بغير آلـة وجسـد بـلا روح)) الا أن المعنى الحسي -كما يبدو- هو المعنى الأول أما المعنيان الآخـران فهما متأخران عنه. شأن هذه الكلمة شأن غيرها من الكلمات التي تستخدم أولاً في معنى حسي ثم تخرج منه إلى معنى ذهني مجازي.

غير ان الزبيدي في (تاج العروس) أضاف(١٠): ان إطلاق عبارة الأدب على العلوم العربية مُولّد حدث في الإسلام. لكنه لم يحدد متى كان ذلـك، وعبـارة (حدث في الإسلام!) فيها قدر كبير من الإطلاق الـذي يصعب فيه تحديد الزمن المراد وقد وردت الدلالة المادية للكلمـة فـي حديث للرسول (ص) ((ان القرآن مأدبـة اللـه)) أي مدعاة اللـه وهـو قـول اكـثر المفسـرين(١١). ولكننـا نقـرأ فـي

---

(٦) ابن منظور محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ١٣١١م)، لسان العرب، ج١، ص ٢٠٧. مادة ادب.

(٧) ذو الرمة غيلان بن عقبة (ت١١٧هـ/٧٣٥م)، الديوان، تصحيح وتنقيح كارليل هنري هيس، مطبعة كلية كمبردج، بريطانيا، ١٣٣٨ هـ/١٩١٩ م، ص ٤٨١.

(٨) اكثم بن صيفي أحد حكماء العرب، سمع بمبعث النبي محمد (ص) فأراد أن يفد عليه فمنعـه قومه ثم انتدب له رجلان من قومـه فاتيا النبـي فعـادا ممـا اثلـج صـدر اكثـم فـي دينـه، فركـب متوجها إلى الرسول (ص) ولكنه مات في الطريق. وكان اكثم مـن المعمرين، أنظـر الجـاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون مرجع سابق. ج٣ ص ٢٥٥، هامش رقم ٣.

(٩) الوطواط، محمد بن ابراهيم بن يحيـى الانصـاري (ت٧١٨هـ/١٣١٨م)، غـرر الخصـائص الواضحة، دار الطباعة السنية، مصر، ١٢٨٤ هـ/١٨٦٧م، ص١٤٠.

(١٠) الزبيدي مرتضي محمد بن محمد (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس، ج١ ص ١٤٤.

(١١) المبرد، محمد بن يزيد ابو العباس (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م)، الكامل،تحقيق محمد أبـو الفضـل إبراهيم، ج٣، دار نهضة مصر، القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ٥٩.

(أمالي)[١٢] القالي نصاً جاهلياً وهو حديث عتبة بن ربيعة إلى ابنته هند حين خطبها سفيان بن حرب وكانت قد طلبت إلى ابيها الا يزوجها أحدا حتى يعرض أمره عليها ويصفه لها من غير أن يسميه إذ يقول في وصفه ابا سفيان انه: (بدر ارومته وعز عشيرته يؤدب أهله ولا يؤدبونه) وإذ تقول وهي تجيبه: ((وسأخذه بأدب البعل مع لزوم قبتي وقلة تلفتي)) ونجد المعنى الأخلاقي فيما أورده أبو تمام في (حماسته) عن بعض الفزاربين[١٣]:

أُكنيه حين أناديه لأكرمَه

ولا أُلقّبُهُ والسوءةُ اللقبا

كذاك أُدبتُ حتى صار مِن خلقي

إني وجدتُ ملاكَ الشيمةِ الأدبا

واورد أبو تمام في المعنى نفسه بيتاً جاهلياً لأمرأة من بني هزان يقال لها أم ثواب في أبن لها عقّها[١٤]:

أنشا يمزق اثوابي يؤدبني

أبعدَ شيبيَ عندي يبتغي الأدبا

غير ان د.طه حسين ذكر للبيت رواية أخرى فضلا عن الرواية السابقة[١٥]:

أنشا يمزق اثوابي ويضربني

ابعدَ شيبيَ يبغي عنديَ الأدبا

---

(١٢) أبو علي القالي، اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، الامالي. مراجعة لجنة احياء التراث العربي، دار الافاق الجديدة، بيروت ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م، ص ١٠٤.

(١٣) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ/٨٤٦م)، ديوان الحماسة (برواية الجواليقي)، تحقيق د. عبد المنعم احمد صالح، دار الرشيد، مطبوعات وزارة الثقافة العراقية، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م، ص ٣٣٣.

(١٤) المرجع نفسه، ص ٢١٣.

(١٥) طه حسين،من بعيد، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م، ص ٢١٦ و ٢٦٣.

واتخذ د. طه حسين هذا الاختلاف دليلاً على نفي (جاهليته!) مشيراً إلى رأيه المعروف في الشعر القديم، مضيفاً: ان هذه الكلمة ليست في اللغات السامية المعروفة، وانها كلمة عربية خالصة للعرب دون غيرهم من الشعوب السامية.

(٢)

وقد كان لمجيء الإسلام الأثر العظيم في احداث تأثيرات كبيرة في الحياة الإنسانية عامة والعربية منها بوجه خاص ومنها اللغة التي رفدها بتراكيب وأساليب جديدة اهتز لها الفرد العربي اهتزاز الانبهار والإعجاب ولعظم هذا التأثير كان الأنصاف ان نميز عصرين أدبيين: أولهما عصر ما قبل الإسلام وهو التقسيم الوحيد الذي يتفرد بكونه اقرب إلى الموضوعية -ان لم يكن موضوعياً خالصاً- نسبة إلى التقسيم الشائع للأعصر الأدبية الذي اتخذ السياسة -بمعناها الضيق- منهجه في التقسيم فلم ينصف.. ولم يفلح.. وكان مجانباً كل المجانبة للحقيقة العلمية.

ورغم أهمية لفظة (أدَب) بدلالتها الأخلاقية، والحاجة إلى استخدامها في بدء الدعوة الإسلامية الا اننا لا نجدها في القرآن الكريم[١٦].

ونجد عبارة (الدأب) التي تعني الجد ومداومة العمل أو العادة والشأن[١٧] كقوله تعالى في المعنى الأول[١٨]: ((قال تزرعون سبع سنين دأبا)) وقوله تعالى

---

[١٦] مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)، تاريخ آداب العرب، ط٢، ج١، طبعة الاستقامة، مصر،١٣٥٩ هـ/١٩٤٠م، ص ٢٢.

[١٧] مجمع اللغة العربية المصري،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ج١، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص ٣٧٧، انظر مادة (دأب).

[١٨] سورة يوسف آية ٤٧.

أيضاً[١٩] ((وسخر لكم الشمس والقمر دائبين)) أي مستمرين في الحركة لا يفتران أو مجدين تعبين على التشبيه والاستعارة. اما دلالتها على العادة والشأن فجاءت في قوله تعالى[٢٠] ((كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا)) وغيرها من الآيات[٢١].

ولعل ذلك قاد (نالينو) للاعتقاد[٢٢] بأن كلمة (أدب) اشتقت من كلمة (دأب) على انها العوائد الحميدة المتوارثة خلفاً عن سلف ولكون تلك العوائد عمدة الناس في أعمالهم المستحسنة عبروا بالأدب عن السنه والسيرة لا سيما المحمودة. وبما ان تعليم العوائد القديمة المأثورة كان عندهم أساس كل تعليم وتربية بل معظم معارفهم أطلقوا الأدب على جملة المعارف فاستعملوا لفظي التأديب والتعليم بدون فرق بينهما.

وافترض نالينو خطوات الاشتقاق[٢٣] انها جاءت أولاً من الجمع فقد جمعت (دأب) على (أداب) ثم قلبت فقيل (آداب) كما جمعت (بئر) و(رئم) على (ابار) و(أرآم) ثم قلبت فقيل (آبار) و(آرام) ثم يستطرد (نالينو) قائلاً: وكثر استعمال (الآداب) جمعاً لـ(دأب) حتى نسي العرب اصل هذا الجمع وما كان فيه من قلب وخيل اليهم انه جمع لا قلب فيه فأخذوا منه مفرده (أدبا) لا (دأبا) وجرى استعمال هذه الكلمة بمعنى العادة ثم انتقل من هذا المعنى الطبيعي القديم إلى معانيه الأخرى المختلفة وفرض الاشتقاق وهذا فيه من البعد ما يصعب قبوله. إذ

---

[١٩] سورة إبراهيم آية ٣٣.

[٢٠] سورة آل عمران آية ١١.

[٢١] انظر سورة الأنفال الآيتين ٥٢ و ٥٤، وانظر سورة غافر آية ٣١.

[٢٢] نالينو، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠م ص ١٩.

[٢٣] المرجع نفسه، ص ٢٩.

وردت كلمتا (أدّب) و(تأديب) في الأثر النبوي المشهور[24] ((أدبني ربـي فأحسن تأديبي وربيتُ في بني سعد)) ولهذا الأثـر دلالـة علـى التعليم فضـلاً عـن دلالتـه الأخلاقية[25] ونقرأ المعنى الأخلاقي على لسان رجل من قـوم خطـب بهـم الامـام علي ينصحهم في الابتعاد عن الشتم والسب قـال الرجـل[26] ((يـا أمـير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بـأدبك)) ويذكـر ابـن رشـيق قـول الامـام علـي لرجـل مدحـه بقصيدة فأكرمه خمسين ديناراً وقال له بعد إكرامه[27] ((اما الحلة فلمسـألتك واما الدنانير فلأدبك)) ويستعمل معاوية الأدب والتـأديب بمعناهمـا التعليمـي والتهذيبـي بقوله[28] ((يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الأدب)) ولسهم بـن حنظلة[29] الشاعر المخضرم لاستخدام لـ(الأدب) بالمعنى الأخلاقي[30] :

---

[24] ابن الاثير المبارك بن محمد بن محمد مجدالدين (ت٦٠٦هـ/١٢١٠م)، النهايـة فـي غريـب الحديـث والاثـر، تحقيـق طـاهر احمـد الـزاوي ومحمـود محمـد الطنـاحي، ج١، مطبعـة عيسـى الحلبي، مصر، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، ص ٤٧، وذكروا أن الرسول (ص) قال: ((من لا أدب لـه لا عقل له)) انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، مراجعة لجنة من العلماء، ج١، مطبعة مصطفـى محمد، مصر، ١٣٤٩ هـ/١٩٣٠، ص ٣٦٤.

[25] نالينو، تاريخ الآداب العربية، ص٢٦.

[26] الامام علي بن ابي طالب، نهج البلاغة، شرح ابن ابي الحديـد، تحقيـق محمـد أبـو الفضـل إبراهيم، ج٣ مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣ م ص ١٨١.

[27] ابن رشيق الحسن بن رشـيق ابوعلـي (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، العمـدة، تحقيـق محمـد محـي الدين عبد الحميد، ج١، مطبعة الجيل، بيروت، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢م، ص ٥٩.

[28] المرجع السابق، ص ٢٩.

[29] سهم بن حنظلة: شاعر فـارس مخضـرم لـه أصمعيـة ابياتهـا (٣٤) بيتـاً، انظـر ابـن جنـي عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، الخصائص، تحقيق محمـد علـي النجـار، ط١، ج٣، مطبعـة دار الكتب المصريـة، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦م، ص ٤٠، وانظـر المعـري، رسـالة الغفران، تحقيق بنت الشاطئ، الطبعة السادسة، دار المعـارف، مصـر ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م، ص ٤٥٦ الهامش.

[30] ابن جني، الخصائص، ج٣، ص ٤٠، والمعـري ابـو العلاء احمد بـن عبدالله بـن سليمان

لا يمنع الناس مني ما اردت ولا اعطيهم ما ارادوا حسن ذا أدبا[٣١]

وجاءت لفظة (أديب)[٣٢] أو(أريب)[٣٣] في شعر مخضرم آخر هو كعب بن سعد الغنوي[٣٤] في مرثيته بأخيه ابي المغوار[٣٥] المقتول في معركة ذي قار إذ يقول[٣٦] :

حبيب إلى الزوار غشيان بيته

جميل المحيا شبّ وهو أديبُ

(ت٤٤٩هـ/١٠٥٧)، رسالة الغفران، ص ٤٥٦.

(٣١) ومعنى البيت: ليس ذلك بحسن. وهذا كما يقول الرجل لوالده إذ رآه فعل فعلاً قبيحاً ما احسن هذا! وهو يريد ضد الحسن المعري، رسالة الغفران، ص ٤٥٦.

(٣٢) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ص ١٦٨.

(٣٣) أبو علي القالي، الأمالي ج٢، ص ١٤٨.

ليس غريباً ورود مفردات عربية بالدال أو الراء تحمل المعنى نفسه، فقد أورد السيوطي مجموعة من تلك المفردات منها: عكدة اللسان أو عكرته أي اصله ومعظمه. ودجن بالمكان ورجن أي ثبت واقام فهو داجن وراجن.

انظر، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) المزهر، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعة، ج١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ص ٥٤٧، وانظر، مختار الصحاح، ص ٦٤٠ مادة (ميد) بعناية محمود خاطر. وفي الجمهرة: الرجانة والدجانة وهي الابل التي تحمل عليها المتاع من منزل إلى منزل ابن دريد، جمهرة اللغة، ج٣، ص ٤٥٥.

(٣٤) كعب بن سعد الغنوي: شاعر مخضرم، يقال له كعب الأمثال لكثرة ما ورد من أمثال في شعره. انظر. المزرباني، محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، معجم الشعراء، تحقيق احمد عبد الستار فراج، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، مصر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ص ٢٢٨-٢٢٩. وانظر الجاحظ، البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ص ١٦٨.

(٣٥) اسمة هرم وبعضهم يقول اسمه شبيب محتجا ببيت روي في هذه القصيدة (اقام فخلى الظاعنين شبيب) لكن هذا مصنوع وان الأول اصح منه فقد رواه ثقة، القالي، الأمالي، ج٢، ص ١٤٨.

(٣٦) الجاحظ، البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ص ١٦٨.

(٣)

ولم تشفع تلك النصوص في ان يَعِدل د. طه حسين[٣٧] عن رأيه في الاعتقاد بعدم وجود لفظ (الأدب) وما يتصرف منه من الأفعال والأسماء قبل الإسلام أو أبان ظهوره.. فهو يرى:ان الكلام المحمول على الخلفاء الأربع كثير وليس هناك سبيل لتحقيق ما صح أو لم يصح من هذا الكلام وانه ليس هناك ما يمكن القطع به. ويظهر أن د. طه حسين بنى هذه النتيجة على مقدمة لا يريد ان يتنازل عنها.. والمقدمة هي **الاطمئنان النفسي** لرأيه وربما لرأي نالينو[٣٨] أو غيره إذ انه لم يجد في افتراض نالينو حرجاً وهو يميل اليه رغم قوله: بعدم الحرص على تقويته. ولا يبعد أن يكون د. طه حسين غير مطلع على تلك النصوص أو بعضها إذ أنه الف كتابه (في الشعر الجاهلي) في العشرينات[٣٩] وهو الكتاب الذي شك فيه بورود كلمة (الأدب) ومشتقاتها في أدب الجاهليين والإسلاميين وهو الكتاب نفسه الذي حذا فيه حذو مارجليوث في شكه بوجود شعر جاهلي[٤٠].. والشك بلفظة (أدب) جزء من هذا الشك! ولكنه يرى ان هذه الكلمة كانت شائعة مستفيضة ايام بني أمية غير انه لا يمكن تحديد الوقت الذي ظهرت فيه وان أول ما استعملت فيه انما هو التعليم[٤١]. فهل يعقل ان تكون هذه الاستفاضة! مقطوعة الجذور والاستفاضة تستدعي زمنا طويلا لكي تكون كذلك إذ لا بد انها جرت على ألسنة العامة جريان استفاضة! بعد ان كانت زمنا في عقول الخاصة ولغتهم. وحين لايشك د. طه حسين في استفاضتها للدلالة على

---

(٣٧) طه حسين، في الأدب الجاهلي، ط١١، دار المعارف، مصر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥ م ص ٢٣.

(٣٨) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣٩) المرجع السابق، مقدمة الطبعة، ص ٤.

(٤٠) المرجع السابق، ص ٧٠ وما بعدها.

(٤١) المرجع السابق، ص ٢٤.

التعليم فقد وردت في نص سابق نقلتُهُ عن ابن رشيق في العمدة من نصيحة لمعاوية بن ابي سفيان وهو أول خليفة أموي دعا فيه إلى (تأديب) الولد والشعر أعلى مراتب (الأدب!) كما يراه معاوية.

وظلت لفظة الأدب في استعمال القرن الأول تدور في معانيها السابقة(٤٢) لكن باستخدامها في الدلالة على التعليم الذي يعني (التهذيب)(٤٣) اكثر من الاستخدام الجاهلي لمعانيها فنقرؤها في بيت لعبدالله بن مخارق(٤٤) يقول فيه(٤٥):

---

(٤٢) ففي معناها الأخلاقي جاءت في بيت لسالم بن وابصة يقول فيه:

إذا شئت ان تدعي كريماً مكرماً ... اديباً ظريفاً عاقلاً ماجداً حرا

إذا ما اتت من صاحب لك زلة ... فكن انت محتالاً لزلته عذرا

انظر أبو تمام، الحماسة، تحقيق د. عبد المنعم احمد صالح، ص ٣٣٢، وانظر ترجمة الشاعر في المرجع نفسه. ص٢٠١ فهو شاعر فارس عاصر الدولة الأموية وهو تابعي كان غلاماً شاباً في خلافة عثمان وابوه صحابي جليل. كما جاء المعنى الأخلاقي في بيت لعمر بن ابي ربيعة (٢٣-١٠١هـ) يقول فيه:

لم تزل تصرفها عن رأيها ... وتأناها برفق وأدب

انظر، الديوان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص ٣٨٦، وجاءت في ذات المعنى عند الشاعر ابن هرمة في قوله:

هش إذا نزل الوفود ببابه ... سهل الحجاب مؤدب الخدام

انظر، الجاحظ، البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، مرجع سابق ج١. ص ١٦٨ والشاعر إبراهيم بن هرمة حجازي سكن المدينة مدح ملوك بني مروان وبقي إلى آخر ايام المنصور. [انظر البيان والتبيين، ج١، ص ١١١، هامش رقم (١)].

انظر ابن المعتز عبدالله بن محمد (ت٢٩٦هـ/٩٠٩م)، طبقات الشعراء،تحقيق عبد الستار احمد فراج، مرجع سابق غير ان البيت المذكور روي لمحمد بن بشير الخارجي وهو معاصر للأمويين كان يقيم بوادي المدينة [انظر ابو تمام، الحماسة، ص٢٢٧ وانظر في ترجمة الشاعر هامش رقم (٥) في الصفحة ذاتها من المرجع المذكور].

(٤٣) هكذا يبدو في هذا العصر وهو تعليم مقترن بسرد قصص الأخلاق العربية في العصر الجاهلي كما سيأتي بعد قليل الحديث عن هذا التعليم.

(٤٤) المعروف بالنابغة الشيباني (ت ١٢٥هـ- ٧٤٣ م) شاعر بدوي من شعراء العصر الأموي

ان الغـلام مطيـعُ منَ يؤدبـهُ

ولا يطيعك ذو سـنٍ لتأديب

(٤)

ليس لدينا ما يقطع أن لفظة (الأدب) استعملت مصطلحاً للشعر والنثر فـي القرن الأول للهجرة فقد كانوا يسمون تلك المعـارف (الشـعر والنـثر والانسـاب) بـ(علم الأدب) كما نقل المسعودي[٤٦] في حديث لعبـد اللـه بـن عبـاس وهـي قولـه ((كفاك من علم الدين ان تعلم ما لا يسعك جهله وكفاك من(علم الأدب) أن تـروي الشاهد والمثل)) ومقتضى ذلك أن (علم الأدب!) كان بالغا من الاتسـاع فـي عهـد ابن عباس حتى صار (اقل مـالا يسـع جهلـه) مـن روايـة الشـاهد والمثـل للقـرآن والعربية[٤٧]. وهو نهاية الغرابة والشذوذ لأن ابن عبـاس توفـي[٤٨] عـام(٦٨هـ/

كان يفد إلى الشام فيمدح الخلفاء من بني أمية مات في ايام الوليد بن يزيد. الزركلي، الأعـلام، الطبعة الثالثة x الاوفيسيت، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٩م، ج ٤، ص ٢٧٩.

[٤٥] نالينو، تاريخ الآداب العربية، ص٢٦، حماسة البحتري الحماسة،، طبعـة ليدن، ص ٣٤٠ أو من ديوان نابغة بني شيبان. طبعة مصـر، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، ص ٧٥. ولكنني لـم أعثر علـى هـذا الديوان، ولـم أجد هـذا البيـت فـي حماسـة البحـتري بطبعاتهـا الآتيـة: ط ١ ،مطبعـة الرحمانية مصر، ١٣٤٧ هـ /١٩٢٩م التي ضبطها وعلق على حواشـيها كمـال مصطفـى عـن نسخة فوتغرافية للنسخة الأصلية المحفوظة في مكتبـة ليدن وتحقيـق الأب لويـس شـيخو، ط٢، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٦٨ هـ/ ١٩٦٧م، وهـي منقولـة عـن نسـخة وحيـدة فـي مكتبة كلية ليدن. وكذلك ط١، بيروت، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، المطبعة التي كتب عليهـا = تطلـب من مدير مجلة المكتب الشرقي.

[٤٦] الرافعي، تاريخ آداب العرب،مرجع سابق، ج١، ص ٢٣.

[٤٧] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٣٦٤ و ٢٦٥.

[٤٨] عبدالله بن عباس: صحابي جليل وابن عم الرسول (ص) ولد بمكة ونشـأ فـي بـدء عصـر النبوة فلازم رسول الله وروى عنه الأحاديث الصحيحة وكف بصره فـي آخـر عمـره. انظـر.

٦٨٧ م).

ولم يكن يومئذ بالتحقيق ما يصح ان يسمى (علم الأدب) وهي رواية فيها من فساد الدلالة التاريخية ما يسقطها من الاستدلال. ولعلها لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس كما اسندها الجاحظ[٤٩]. ومحمد هذا هو والد السفاح أول الخلفاء العباسيين وتوفي سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢ م)[٥٠] وهو القائل أيضاً[٥١] ((أدب الله محمداً بأحسن الاداب)) لكن من العسير الاعتقاد ان عبارة (علم الأدب) قد استخدمت في مثل هذا العصر ولعلها -أيضاً- (علم العرب) وليست (علم الأدب) إذ ليس من المعقول ان يكون مثل هذا الاستخدام الاصطلاحي المتطور قد أطلق على مجمل التراث العربي من شعر وخطب وانساب.

مما يرجح فساد تلك النسبة إلى ابن عباس - أيضاً - قول عمرو بن دينار فيه[٥٢] : ((ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس الحلال والحرام والعربية والانساب والشعر)) ولو كان لفظ الأدب معروفاً يومئذ- عصر ابن عباس - لأجتزأ به وطوى فيه ما فصله بعد ذلك.

(٥)

ولا نمضي في القرن الأول (عصر الدولة الأموية) حتى نجد الكلمة تدور في المعنى الأخلاقي والتهذيبي وتضيف اليه معنى جديداً آخر هو معنى تعليمي

خير الدين الزركلي، الأعلام/ط٣، المطبعة X.(١٣٨٨ هـ/١٩٦٩ م)، ج٤ ص ٢٢٨ – ٢٢٩.

[٤٩] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق، عبدالسلام هارون، ج١، ص ٨٦.

[٥٠] المرجع السابق، ج٢ ص ٢٩ الهامش رقم (١).

[٥١] المرجع السابق، ج٢ ص ٢٨.

[٥٢] ابن عبد ربه، احمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م)، العقد الفريد، ج٢ ص ٤٢٣.

منذ وجدت طائفة من المعلمين تسمى بـ(المؤدبيـن)[٥٣] الذيـن كـانوا يعلمـون أولاد الخلفـاء الشـعر والخطـب وأخبـار العـرب وأنسـابهم وأيـامهم فـي الجاهليـة والإسلام[٥٤]. وهو التعليم المألوف في عهد الدولة الأموية القائم على الروايـة[٥٥]. وأتـاح هـذا الاسـتخدام الجديـد للكلمـة ان تصبـح مقابلـة لكلمـة العلـم واصبـح لفـظ المؤدب يرادف لفظ المعلم الذي يتخذ التعليم صناعة ويكسب به رزقه عند الخلفاء والأمراء ووجوه الناس واصبح لفظ الأدب يدل على ما يلقيه المعلم إلى تلميذه من الشـعر والقصـص والأخبـار والانسـاب غيـر انهـم مـيزوا الذيـن اختصـوا بـاقراء صبيان العامة في الكتاتيب فسموهم بـ(المعلمين)[٥٦] وأولئك الذين أختصـوا بتعليم أولاد الخلفـاء والأمـراء فسـموهم بــ(المؤدبيـن) وكـان مـن اقـدم هـؤلاء المعلمـين المعروفين: (أبو معبد الجهنـي) و(عـامر الشـعبي) اللـذان كانـا يعلمـان أولاد عبد الملك بن مروان ومنهم أبو سعيد المؤدب وهو غير ابي سعيد المعلم[٥٧] ولكننا لا نكاد نرى هذه المادة مستعملة في أول الأمر الا فعلا واسـم فـاعل فهـم يسـتعملون (أدب) ويستعملون بنوع خاص (المؤدب)[٥٨] وغلب استعمال كلمة (التأديب) بهـذا المعنـى فـي اثنـاء القـرن الأول للهجـرة علـى الشـعر وروايتـه وعلـى القصـص والانساب والأخبار دون العلوم الدينية إذ كان للمسلمين فـي ذلـك العصـر نوعـان

---

[٥٣] وكان المؤدبون عندهم علـى ضربيـن أصحـاب العلوم واصحـاب البيـان وكـانوا يخصـون هؤلاء بالأثره، انظر الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، ص ٢٨.

[٥٤] المرجع السابق، ج١، ص ٢٨.

[٥٥] طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص٢٤.

[٥٦] ظهر لفظ المعلم قبل لفظ المؤدب. إذ كان يعلم الصغار والكبار حتى ليقال ان ابا الاسود الدؤلي هو أقدم معلم كانت الناس تجتمع له فيعلمهم، الرافعي، تاريخ اداب العرب، ج١، ص ٢٨.

ذكر ابن قتيبة أسماء المعلمين في كتابه المعارف، تحقيق ثـروت عكاشـة، مطبعـة دار الكتـب، مصر، ص ٥٤٧.

[٥٧] الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٢٥٢.

[٥٨] طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص ٢٤.

من الثقافة دينية وهي القرآن والحديث وما يتصل بهما وغير دينية وهي التي ذكرت وتلك التي كانت تسمى (أدباً)[٥٩]. فقد اتجه شعراء العصر الأموي إلى الشعر الجاهلي بسبب نزوع الخلفاء الأمويين إلى الحياة الأدبية الجاهليه وكان صدى تلك الروح الجاهلية واضحاً في أذواقهم التي كانت تحن إلى الشعر الجاهلي[٦٠]. وهي الثقافة التي كان يحرص عليها العربي المستنير من الأرستقراطية الحاكمة أو من الأرستقراطية التي يعتز بها الخلفاء[٦١]. فقد كان المسلمون يعنون بالعلوم الدينية عناية خاصة تقوم على التحفظ في روايتها عن رجال وقفوا أنفسهم على ذلك من الصحابة والتابعين[٦٢].

وظلت (التأديب) في القرن الأول للهجرة مقترنة بمعنيين هما: حسن الخلق والتعليم الذي لا يشمل المعارف الدينية. وقد توهم نالينو بقوله: من اننا لا نجد غير المعنيين السابقين في القرن الثاني للهجرة[٦٣] أيضاً. لانها وردت بمعنى اعم في قول للخليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ/ ٧٩١ م)[٦٤] : "من لم يكتسب بالادب مالا اكتسب به جمالا" وقوله[٦٥] : "إذا كثر الأدب قل خيره وإذا كثر خيره كثر ضيره" ولعل هذا الأدب هو الذي عناه الفراهيدي في قوله: "إذا اردت أن تعلم

---

[٥٩] المرجع السابق، ٢٤و٢٦ وقد فرقوا بين (التأديب) و(التعليم) بقولهم: ان التأديب يتعلق بالمرادات والتعليم بالشرعيات. أي ان الأول عرفي (دنيوي) والثاني شرعي (ديني). انظر: محمد أعلى بن علي التهاوي، كشاف اصطلاحات الفنون، بتصحيح محمد وجيه وصاحبيه ط طهران، ١٣٧٦ هـ /١٩٥٧م، ص ٥٣.

[٦٠] محمد عبد العزيز الكفراوي، الشعر العربي بين الجمود والتطور، مطبعة الرسالة، مصر، ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧م، ص ٤٨.

[٦١] طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص٢٤.

[٦٢] طه حسين وجماعته، التوجيه الأدبي، دار المعارف، مصر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م ص ٣.

[٦٣] نالينو، تاريخ اداب اللغة العربية، ص٢٩.

[٦٤] الوطواط، غرر الخصائص، ص١٤١.

[٦٥] المصدر نفسه، ص ١٥٦.

العلم لنفسك فالجمع من كل شئ شيئا، وإذا اردت ان تكون رأسا في العلم فعليك بطريق واحدة"... ولذلك قال الشعبي ما غلبني الا ذو فن[٦٦] ... والفن عندهم الاخذ من كل علم بطرف كما سنقرؤه بعد حين. ويمكن فهم هذا التوسع في مدلول (الأدب) في رسالتي ابن المقفع[٦٧] : (الأدب الصغير) و(الأدب الكبير) ونقرأ الدلالة الأعم في شعر[٦٨] للإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩ م) ويقول ابو نواس[٦٩] : "لا ضيعة على أديب حيث توجه فانه يجالس اشراف الناس وملوكهم في كل بلد يرده...)) ولشبيب بن شبيبة[٧٠] (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) كلام[٧١] مثل هذا. وقول نالينو وطه حسين[٧٢] من أن (الأدب) لم يكن يطلق في القرن الأول للهجرة إلا في المدلولين: الأخلاقي والتعليمي انما يكون هذا الاستنتاج عليهما وليس لهما

---

(٦٦) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي ابو عبدالله (ت٦٢٦هـ/٧٥٩م)، معجم الأدباء، نسخ وتصحيح د.س مارجليوث، ط٢ ج١، مطبعة هندية، مصر، ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣ م، ص ١٧-١٨.

(٦٧) ابن المقفع، عبدالله بن المقفع (ت١٤٢هـ/٧٥٩م)، الأدب الصغير والأدب الكبير، تحقيق يوسف أبو حلقة، الطبعة الثالثة، مطبعة البيان العربي، مصر، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م ص ٤٣، انظر، الأدب الصغير، ص ٣٧.

(٦٨) قال الشافعي:

أصبحت مطرحاً في معشر جهلوا	حق الأديب فباعوا الرأس بالذنب
والناس يجمعهم شمل وبينهم	في العقل فرق وفي الآداب والحسب

الشافعي، محمد بن أدريس (٢٠٤هـ/ ٨٢٠م): جمع وتعليق محمد عفيفي الزعبي ص ١٦.

(٦٩) ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، ص ٢٠٤.

(٧٠) خطيب معروف من أهل البصرة انظر الزركلي، الاعلام، ج٣، ص ٢٢٩.

(٧١) هو قول شبيب((اطلب الأدب فأنه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة وصلة في المجلس)).

انظر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ص ٣٥٢.

(٧٢) ينظر الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، ص ٢٤، وينظر طه حسين، الادب الجاهلي، ص ٢٥.

لان التعليم في عملية (التأديب) وفي جهود (المؤدبين) كانت تنصب على تعليم الشعر والانساب والخطب والسير وهي المعارف التي كان لها السيادة في الفترة المشار اليها.

وقد فهمت عبارة الخليل الفراهيدي – وهي في القرن الثاني هذا طبعاً – ((حرفة الأدب آفة الأدباء)) انها تعني الاحتراف والامتهان لتكسب (المؤدبين) بمعارفهم كما يرى الرافعي[٧٣]. غير أن المدقق لمعناها في مورد استعمالها عند الثعالبي هو معنى (نقص الحظ) وتعثره في حياتهم فهي بفتح الحاء (حَرفة) أو بضمها (حُرفة). والرجل المحارَفَ: ضد[٧٤] المبارَك لان الثعالبي في كتابه السابق الذكر (ثمار القلوب) وفي الصفحة نفسها (١٢٩) يستشهد ببيتين للخليل الفراهيدي يفهم منهما المعنى المذكور وهما:

ما ازددتُ في أدبي حَرفا أُسَرُّبِهِ   إلا تَزيّدتُ حَرفا دونه شوم

إن المقدم في حذق بصنعته   أنىّ توجه منها فهو محرومُ

وهو المعنى المفهوم من عبارة (حرفة الأدب) في رثاء ابن بسام (ت٣٠٣هـ/٩١٥ م) في عبد الله بن المعتز حين قتل سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) أو خنق ولم يهنأ بالخلافة الا يوما أو بعض[٧٥] يوم إذ يقول[٧٦] :

---

[٧٣] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، ص ٢٣.

[٧٤] انظر الجوهري، اسمعيل بن حماد أبو نصر (ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، معجم الصحاح، تحقيق احمد عبد عطار، مطابع الكتاب العربي، مصر ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧ م ص ١٣٤٢. مادة (حرف) وهي كذلك في معظم استخدامها. أو الشيخ الرازي، محمد بن بن ابي بكر عبد القادر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٨م)، مختار الصحاح، بعناية محمود خاطر مرجع سابق ص ١٣١ مادة (حرف).

[٧٥] ابن المعتز، طبقات الشعراء،تحقيق عبد الستار احمد فراج، ص ٨.

[٧٦] أبو منصور الثعالبي، عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، ثمار القلوب، مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨ م ص ٥٢٩ وانظر أبي اسحاق الحصري القيرواني، ابراهيم بن علي ابو اسحاق (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م)، ذيل زهر الآداب أو المسمى (جمع الجواهر في الملح والنوادر) المطبعة الرحمانية، مصر،١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م ص ٢٠٥.

لله دَرّكَ مِن مَيّتٍ بمضيعةٍ

ناهيْكَ في العلم والاداب والحسب

ما فيه لولا ولا ليتٌ فتنقصه

لكنما أدركَتْهُ حَرفةُ الأدب

ولقد تعسف الرافعي في فهمه (حَرفة الأدب) هذه في معنى البيتين المذكورين حين قال[٧٧]: ((أن شيوع أسباب التكسب بين الشعراء في القرن الثالث وبطلان العصبية التي كانت تجعل للشعر معنى سياسيا فاتخذوه حرفة يكدحون بها انتقل اليهم لقب الأدباء للمناسبة بين الفئتين في الحرفة)) ويقصد (المؤدبين). إذ من المستبعد ان يرثي شاعر خليفة فيذكره بمثل (التكسب) و(الاحتراف). لكنه يريد -كما يبدو لي- (حَرفة) بفتح الحاء وتعني الحظ السيء كما ذكرت قبل قليل.

(٦)

وبدخول القرن الثالث استخدمت لفظة الأدب استخداما واسعا في الدلالة على مأثور الكلام من شعر أو نثر فني فقد وردت في مواضع متعددة في شعر ابي تمام[٧٨] منها قوله في علي بن الجهم[٧٩] :

---

[٧٧] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، ص ٢٤.

[٧٨] كقوله:

إنا جهلناك فخلناكَ اعتللت ولا	والله ما اعتل إلا الملك والأدب
كل شِعبٍ كنتم به آل وهب	فهو شعبي وشعب كل أديب

وانظر ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام. ج١ ص ١٢٠ و ٢٥٧ و ٢٦٣ و ٢٩٧ و ٣٠٢ والديوان ج١ ص ٣٠١ و ١٣١.

[٧٩] المصدر السابق، ج١، ص ٤٠٧.

انظر ابو بكر الصولي، محمد بن يحيى بن عبدالله (٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أخبار ابي تمام، تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام، الطبعة الأولى، لجنة التأليف والترجمة، مصر، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ٦١ و ٦٢.

إن يفترق نسب يؤلف بيننا أدبٌ اقمناه مقام الوالد

كما جاءت في كلام لعلي بن الجهم في موضع ثنائه على شعر ابي تمام الذي منه ذلك البيت قوله[٨٠]: ((إلا يكن اخاً بالنسب فانه أخ بالادب والدين والمروءة اما سمعت ما خاطبني به ....)) فيورد الشعر المذكور ورثى محمد بن عبد الملك الزيات (الوزير) ابا تمام قائلا[٨١] :

فمات الشعر من بعد ابن أوس فلا أدبٌ يُحَسّ ولا أديبُ

كما وردت بذلك المعنى الخاص في شعر عدد من شعراء هذا القرن كالعتابي[٨٢] (ت ٢٠٨هـ/٨٢٣ م) ودعبل الخزاعي[٨٣] (ت ٢٤٦هـ/٨٦٠ م) وفضل الشاعرة[٨٤] (ت ٢٥٨هـ/٨٧١ م) وفي منثور هذا القرن وبدلالتها الخاصة

---

[٨٠] أبو بكر الصولي. أخبار ابي تمام، ص ٦١.

[٨١] المصدر السابق، ص ٢٧٧.

[٨٢] قوله:

لم ترتبطك على وصلي محافظة ولا أعاذك مما اغتالك الأدب

وقوله:

يا قاتَلَ الله أقواماً إذا ثقفوا ذا اللب ينظر في الآداب والحكم

انظر ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م)، كتاب الأغاني. تحقيق عبد الستار فراج دار الثقافة بيروت، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م. البيت الأول: الأغاني ج ١٣، ص ١١٦.

البيت الثاني: الاغاني ج ١٣ ص ١١٧.

[٨٣] قوله في علي بن طاهر:

جئتك بلا حرمةٍ ولا سبب إليك إلا بحرمة الإدب

انظر دعبل بن علي بن رزين الخزاعي (ت٢٤٦هـ/٨٦٠م)، الديوان، تحقيق عبد الكريم الأشتر، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق بلا تاريخ ص ٦٣.

[٨٤] قولها:

يا حسن الوجه سيئ الأدب شبت وأنت الغلام في الأدب

انظر ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٤٢٧.

نقرؤها في كلام لابن السكيت (ت٢٤٤ هـ/ ٨٥٨ م) يقول فيه[٨٥] : ((خذ من الأدب مايعلق بالقلوب وتشتهيه الآذان وخذ من النحو ما تقوم به الكلام)) وفي قول للاصمعي[٨٦] (ت٢١٦هـ/٨٣١ م) أن اعرابيا سأله: ما حرفتك؟ فقال له: الأدب قال: نعم الشيّ فعليك به فانه ينزل المملوك في حد الملوك.

ونطالع في هذا القرن استعمال (الأدب) في امهات كتبه في استعماليه: الخاص والعام الذي يجمع ضروبا من المعرفة ولكن بغلبة الطابع الفني وهي الكتب التي دعاها ابن خلدون بانها الأصل وان غيرها تبع لها[٨٧] وهي أربعة كتب ثلاثة منها في هذا القرن وواحد في القرن الرابع:

١. البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩ م)
٢. أدب الكاتب لأبن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩ م)
٣. الكامل للمبرد (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧ م)
٤. النوادر لابي على القالي (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧ م)

وقد جاء في مقدمة كتاب الكامل[٨٨] : ((هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطب شريفة ورسالة بليغة)) وذلك نمو ملحوظ في استعمال (الأدب) ودلالته وقد جمعت تلك الكتب معارف عامة في علوم الدين واللغة والوعظ فضلاً عما فيها من شعر ونثر فني. وكان لنشأة علوم اللغة العربية ثم نموها واستقلالها اكبر الأثر في تطور مفهوم الأدب بفعل التنوع الثقافي واتساعه. فكان لحركة

---

[٨٥] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تصحيح مارجليوث، ج١، ص ١٩.

[٨٦] المصدر السابق، ج١، ص ١٩.

[٨٧] ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، المقدمة، دار التحرير، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٦ م ص ٤٩١.

[٨٨] أبو العباس المبرد، محمد بن يزيد بن عبدالله (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م)، الكامل في اللغه والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١ ص ١.

الترجمة وشيوع المنطق التأثير البالغ في أساليب الأدباء. فقد اخذت تلتزمه وتتأثر به بل ان بعض الشعراء اتبعوه وتأثروا به وفي مقدمة هؤلاء أبو تمام وابن الرومي. وقد عرف أبو تمام بحكمته وامتلاكه فكراً أدبياً، وتقديم الفكرة والتدليل عليها كقوله(٨٩) :

وإذا اراد الله نشـرَ فضيلةٍ طُويتْ أتاحَ لها لسان حسـود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعُرف طيب عَرفِ العـود

وابن الرومي يعرض للفكرة فيحللها ويولدها ويكثر الاستنتاج منها ويظهر تأثره بالمنطق والفلسفة واضحاً كقوله(٩٠) :

---

(٨٩) ابو تمام، الديوان شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، ج١، ص ٤٠٢.

أو قوله بعد عرضه لفكرة بلوغ الغاية بعد المشقة:

فاني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

(الديوان ج٢. ص ٢٣)

وقوله:

ما إن ترى شيئاً لشيءٍ محيياً حتى تلاقيه لآخر قاتلاً

(الديوان ج٢، ص ١١٣)

غربت خلائقه واغرب شاعر فيه فأحسن مغرب في مغرب

(الديوان ج٤ ص ١٠٧)

انظر الجرجاني، علي بن عبد العزيز (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، الوساطة. تحقيق ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي، مصر (بلا تاريخ) ص ٣٢٨ و ٣٤٥ وانظر القوافي الآتية : (آجال) و(بلا عند) وكثير غيرها في فهارس الوساطة.

(٩٠) ابن الرومي، علي بن العباس بم جريج (ت٢٨٣هـ/٨٩٦م)، الديوان، تصنيف كامل كيلاني مطبعة التوفيق الأدبية، مصر، ج٣ ص ٣٩٣.

في قدرة ابن الرومي على التجريد واعتماده على العقل وعدم استسلامه للخيال وتعمقه المعاني واستيفائها واستقصائها. راجع كتاب ابن الرومي لعباس العقاد وهو دراسة نفسية للشاعر من خلال شعره.

وانظر، شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م،

لما تؤذن الدنيا به من صروفهـا   يكون بكاء الطفل ساعة يولـد

وإلافما يُبكيه منها وإنـها   لأفسح مما كان فيـه وأرغـدُ

حتى لقد ساد هذا النظر في هذا العصر فعابوا على البحتري انه لم تكن لديه ثقافة فلسفية ومنطقية فدافع عن نفسه بأن الشعر غير خاضع للمنطق وانه يسير في ذلك سير الأولين مثبتاً حجته (الواهية) من أن امرأ القيس لم يحسن المنطق فيقول[91] :

كلفتمونا حدودَ منطقِكم   والشعرُ يُغني عن صدقِه كَذِبُهُ

ولم يكن ذو القروحِ يَلهج بالمنـ   ـق ما نوعُهُ وما سَبَبُه

والشعر لمحٌ تَكفي إشارتُـه   وليس بالهذرِ طُوِّلتْ خُطَبُه

ونقرأ المعنى الخاص للادب في دلالته على صناعة الشعر والانشاء البليغ في كلام الجاحظ يقول فيه[92] : ((طلبتُ علم الشعر عند الاصمعي فوجدتُه لايُحسن إلا غريبَه فرجعتُ إلى الأخفش فوجدتُه لايتقن إلا إعرابه فعطفتُ إلى ابي عبيدة فوجدته لاينقل الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب فلم أظفر

ص ٣١٣.

انظر، ايليا سليم حاوي، ابن الرومي، ط٢، مطبعة دار الكتاب، بيروت، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م، ص٢٨٧.

انظر، شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط٧، دار المعارف، مصر ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص ٢٠٥.

انظر، طه حسين حديث الشعر والنثر، الطبعة الحادية عشر، دار المعارف، مصر، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م، ص ١٣٦.

انظر ابن رشيق، العمدة، ج٢، ص ٢٣٨.

(٩١) البحتري، الوليد بن عبيد بن يحيى الطائى (ت٢٨٤هـ/٨٩٨م)، تحقيق حسن كامل الصيرني، دار المعارف، مصر،١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣م، ج١، ص ٢٠٩، سلسلة ذخائر العرب(٣٤).

(٩٢) إبن رشيق، العمدة، ج٢، ص ١٠٥.

بما أردتُ إلا عند ادباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات))

غير أننا نطالع رأياً مهما وطريفا في القرن الثالث هذا لابن قتيبة يقوم فيه (الاديب) ويُطلق فيه المفهوم يقول فيه[٩٣] : ((من اراد أن يكون عالماً فليطلب فنا واحدا ومن أراد أن يكون اديبا فليتفنن في العلوم)).

ومنذ القرن الثالث بدأ (الأدب) يأخذ مدى اوسع، وافقاً أرحب، ومدلولا اشمل بفعل اتساع حركة الثقافة والعلم وتعدد مصادرهما. فكانت الدلالة الأخلاقية للادب قد اتسعت فاطلقت على السنن التي ينبغي ان تراعى عند طبقة خاصة من الناس وفيها وضع عبيد الله بن طاهر - وهو من ندماء الخليفة المعتضد (ت٢٨٩هـ/٩٠٢ م) - كتابه[٩٤] (الاداب الرفيعة)[٩٥]. ونقرأ في العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩ م) بابا في اداب الحكماء[٩٦] والعلماء وأبوابا موسوم بـ(الأدب في الحديث والاستماع)[٩٧] أو(الأدب في المجالسة)[٩٨] وألف أبو الحسين الصابي (ت٤٤٨هـ/ ١٠٥٦ م) كتابه (رسوم دار الخلافة)[٩٩] شرح فيه اصول مجالسة الخلفاء ومحادثتهم وما يجب ارتداؤه عندهم من ملابس وهي قيود يضيق بها المرء لم تكن موجودة في الحياة العربية الإسلامية إذ انها تقليد لملوك واباطرة الرومان. والف في تلك (الاداب) كشاجم (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١) -وهو نديم

---

(٩٣) ابن عبد ربه، احمد بن محمد بن عبدربه (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م)، العقد الفريد، ج١، ص ٢٦٥.

(٩٤) الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، ص ٢٦٥.

(٩٥) تصلح هذه الكلمة أن تكون تعريباً لما ترجمه المتأخرون بالفنون الجميلة، (beaux arts) الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، ص ٢٥ الهامش.

(٩٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٣٦٢.

(٩٧) المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٥.

(٩٨) وكلها طرائف وأساليب في تنظيم العلائق الاجتماعية وكثير منها ومن أمثالها في (الأدب) بهذا المعنى نظريات ونظم في علم الاجتماع الحديث نفسه، ج١ ص ٣٦٦.

(٩٩) أبو الحسين هلال بن المحسن الصابي.

سيف الدولة- كتابه (أدب النديم)[١٠٠] وتبعهم ابن الطّقطقى(ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩ م) فالف كتابه (الفخري في الاداب السلطانية) سنة (٧٠١ هـ/ ١٣٠١ م) قال فيه[١٠١]: ((ان الكتاب موضوع للسياسات والاداب التي ينتفع بها في الحوادث الواقعة والوقائع الحادثة وفي سياسة الرعية وتحصين المملكة وفي اصلاح الاخلاق والسيرة)) ويدخل في بعض تلك الاداب علوم السياسة والاجتماع والنفس والصحة أيضاً.

(٧)

ثم صارت الاداب من ذلك الوقت تطلق على فنون المنادمة وأصولها وربما يكون ذلك قد جاءها من طريق الغناء إذ كانت تطلق عليه في القرن الثالث لانه بلغ الغاية من احكامه وجردت فيه الكتب وافردت له الدواوين من مختارات الشعر وكانوا يعتبرون معرفة النغم وعلل الغناء من ارقى فنون الآداب[١٠٢]، لذلك قال ابن خلدون[١٠٣] ((ان الغناء في الصدر الأول من اجزاء هذا الفن (الأدب) لما هو تابع للشعر وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه)) إذ نقرأ هذا المعنى في كلام للحسن بن سهل (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠ م) يقول فيه[١٠٤] ((الاداب عشرة فثلاثة

---

(١٠٠) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ط٨، دار المعارف، مصر ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م، ص ١٠.

(١٠١) ابن الطقطقي، محمد بن علي (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ص ١٤ انظر الزركلي، الاعلام، ج ٧، ص ١٧٤.

(١٠٢) الرافعي، مصطفي صادق (ت١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)، تاريخ آداب العرب، ج١، ص ٢٥.

(١٠٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٩١.

(١٠٤) الحصري القيرواني، زهر الآداب، تحقيق علي محمد البجاوي، ج١، ص ١٥٥.

شهرجانية وثلاثة انو شروانيه[١٠٥] وثلاثة عربية وواحدة اربت عليهن. فاما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج واما الانوشروانية فالطب والهندسة والفروسية واما العربية فالشعر والنسب وايام الناس واما الواحدة التي أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس)).

وفي هذا الاتجاه قال أبو القاسم اسماعيل بن احمد الشجري من شعراء القرن الرابع وقد جمع الاداب كما يراها في قوله[١٠٦] :

ان شئت تعلم في الاداب منزلتي

وأنني قد عداني العز والنعم

فالطرف والسيف والاوهاق تشهد لي

والعود والنرد والشطرنج والقلم[١٠٧]

وكل ذلك انما كان في تاريخ الحضريين اما الاعراب فلم يجر عليهم حكم الأدب ولم يتناولوا الكلمة على اصطلاحها وانما اتخذ بعضهم لقب الاديب يتمدح به على جهة ما ينشأ عنه من معاني الرقة الحضرية التي تقابل في طباعهم الجفاء ولوثة الاعرابية[١٠٨] كقول بعضهم[١٠٩] :

واني على ماكان من عنجهيتي

ولوثة اعرابيتي لأديبُ

---

[١٠٥] الشهرجانية: نسبة إلى الشهارجة أو الشهاريج وهم اشراف الفرس والأنوشروانيه : نسبة إلى كسرى انو شروان ملك الفرس.

[١٠٦] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، ص ٣٦.

[١٠٧] الأوهاق: جمع وهق وهو الحبل في أحد طرفيه أنشوطه يطرح في عنق الفرس أو الأنسان حتى يؤخذ (انظر مجمع اللغة العربية المصري، المعجم الوسيط. اخراج إبراهيم انيس وجماعة مادة وهق، ج٢، ص ١٠٦٠.

[١٠٨] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، ص ٢٦.

[١٠٩] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ص ١٦٨.

(٨)

ونجد الأدب في معانيه الواسعة عند اخوان الصفاء في القـــرن الرابــع الهجري فقد جاءت في رسائلهم[١١٠] - إلى جانب دلالته على علوم اللغة والشعر والتأريخ[١١١] - دالا على الموسيقى والكيمياء والرياضيات والتجارة[١١٢] وان مـا يجدر ذكره ان لفلسفة اخوان الصفاء تأثيرا كبيرا في الحياة الثقافيـــة والفكريـة للقرن الرابع، بل عدت الحقبة القائمة من اواخر القرن الرابع حتى اواخر القـــرن الخامس بعصر اخوان الصفاء الفكري[١١٣].

وهي المدة التي عاشها أبو العلاء المعري (٤٤٩هـ/ ١٠٥٧ م) باحداثها الجسام ومشكلاتها الكبيرة و (ازدهارها) الثقافي المعـــروف. وكـــان عبثــه[١١٤] واضحا بلفظة (الأدب) التي بلغت من سعتها وعمومها مبلغا كبيرا فـــي عصـــره المزدهر ثقافياً (حسب) وهو بعض عبثه بمواد اللغة في (لزومياتـــه) أو بعـــض كتبه[١١٥]. فقال[١١٦] :

---

[١١٠] رسائل اخوان الصفاء، تصحيح خير الدين الزركلي، ج١، ص ١٨ – ١٩.

[١١١] ونلاحظ في هذا القرن دلالتها على اللغة والشعر والتاريخ وعلوم الديـــن فـــي رســـائل الخوارزمي (ت ٣٨٣هـ- ٩٩٣ م) انظر رسائل الخوارزمي، تقديم الشـــيخ نسـيب وهيبـة الخازن ص ٤٩، ٥٤، ٩٨، ١٠٣، ١١٤-١١٥،١٨٧.

[١١٢] رسائل اخوان الصفاء، ج ١، ص ٢٢٧.

[١١٣] عبدالله العلايـلي، المعري ذلك المجهول، المطبعـــة الحديثـة، بـيروت، ١٣٦٣ هــــ /١٩٤٤م، ص ١٤.

[١١٤] طه حسين،من لغو الصيف، ط٤،دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٧ هـــ/١٩٧٧م، ص ١٦٠.

[١١٥] مثل كتاب رسالة الملائكة والفصول والغايات ورســـالة الصـــاهل والشـــاحج ورســـائله الخاصة،انظر رسالة الملائكة، تحقيق لجنة من العلماء. المطبعة التجارية بـــيروت،الفصـــول والغايات، تحقيق محمود حسن زناتي، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، رســـالة الصـــاهل

وكل أدّيب أي سيدعى إلى الردى

من الأدب لا أن الفتى يتأدبُ

أو قوله[١١٧] :

وما أدّب الاقـوام فـي كل بلـدة

إلى المين الاّ معشــر أُدبـاءُ

(٩)

وبالرغم مما حصل لـ (الأدب) و (الاديب) مـن إطلاق أو تقييد. أو معنـى عام واخر خاص الا ان المعنى العام كان هو السائد وظـل كذلـك لمـا بعـد القـرن الرابـع الهجـري غير ان دلالتـه تضيـق احيانـا فيطلـق البــاخرزي (ت ٤٦٧هــ/ ١٠٧٤ م) عبارة (أئمة الأدب) على اللغويين والنحاة في فصـل مـن كتابـه (دميـة القصر) الذي جعله ذيلا على (اليتيمــة) للثعـالبي فترجم لطائفـة مـن علمـاء اللغـة كابن فارس وابن جني والجوهري قائلا في أول ذلك الفصل[١١٨] : ((هـؤلاء قـوم ليـس لهـم فـي دواويـن الشـعر رسـم، ولا فـي قوانيـن الشـعراء اسـم)) كمــا ألــف الفرزدقي القيرواني (ت٤٧٩هـ/ ١٠٨٦ م) في تراجم اللغويين والنحاة كتابا سـماه (شجرة الذهب في معرفـة أئمـة الأدب)[١١٩]. ويـرى نـالينو ان حصـر الأدب فـي علـوم اللغـة العربيـة هـو ســلك الذيــن عنــوا بعلـم الصــرف والنحــو والبلاغــة

والشاحج، تحقيق بنت الشاطىء. ورسائله بشرح شاهين أفندي عطية.

[١١٦] المعري، احمد بن عبدالله ابو العلاء (ت٤٤٩هـ/١٠٥٧)، اللزوميـات، شـرح اميـن عبـد العزيز الخانجي، مطبعة التوفيق الادبية، مصر، ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣م، ج١، ص ٧١.

[١١٧] المصدر السابق، ج١، ص ٣٥.

[١١٨] الباخرزي، علي بن الحسن بن علي (ت٤٦٧هـ/١٠٧٥م)، دميـة القصـر، ط١، المطبعـة العلمية، حلب، ١٣٤٩ هـ /١٩٣٠م، ص ٢٩٦.

[١١٩] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، ص ٢٧.

والعروض، إلا انه توهم حين قال[١٢٠] : ((ان هذا المعنى الخاص لم يتولد الا بانقضاء القرن الخامس واننا لم نعثر عليه فيما صنف قبل القرن السادس وضرب لذلك مثلا بكتاب (نزهة الالباء في طبقات الأدباء) لابن الانباري (ت ٥٧٧هـ/ ١١٨١ م) الذي لم يذكر في معظمه الا اللغويين[١٢١]. ونسي (ديوان الأدب) للفارابي (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م) وهو أول معجم عربي مرتب بحسب الأبنيه[١٢٢].

(١٠)

ونقرأ رأيا صريحا في تحديد مفهومين للادب الأول (خاص) والاخر (عام) من خلال حديث للبطليوسي (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) عن غرض الأدب – ولعله أول من حدد هذين المفهومين بوضوح – يقول[١٢٣] : ((إن الأدب له غرضان أحدهما يقال له الغرض الأدنى والثاني الغرض الأعلى، فالغرض الأدنى أن يحصل للمتأدب بالنظر في الأدب والتمهر فيه قوة يقدر بها على النظم والنثر والغرض الأعلى ان يحصل للمتأدب قوة على فهم كتاب الله تعالى وكلام رسوله وصحابته ويعلم كيف تبنى الألفاظ الواردة في القرآن والحديث بعضها على بعض حتى نستنبط منها الاحكام وتفرع الفروع وتنتج النتائج وتقرن القرائن على

---

(١٢٠) نالينو، تاريخ الاداب العربية، ص ٤٨.

(١٢١) كتاب نزهة الألباء كتاب تراجم بدأه مؤلفه بذكر الأمام علي الذي قال: انه أول من وضع علم العربية واسس قواعده واخذ عنه أبو الاسود الدؤلي (انظر نزهة الالباء ص١٧) ذاكراً أسباب وضع النحو (ص١٨) وختم الكتاب بأبي السعادات ابن الشجري(النحوي) وذكر كتابه الأمالي قائلاً: انه كتاب نفيس يشتمل على فنون من(علم الأدب) ص٣٠٠ والامالي تحقيق إبراهيم السامرائي.

(١٢٢) حقق هذا الكتاب د.احمد مختار عمر، وراجعه د.إبراهيم انيس.

(١٢٣) ابن السيد البطليوسي، عبدالله بن محمد بن السيد (ت٥٢١هـ/١١٢٧م)، الأقتضاب في شرح أدب الكتاب، بيروت، ١٣١٩هـ/١٩٠١م، ص١٤.

ما تقتضيه مباني كلام العرب ومجازاته كما يفعل أصحاب الأصول)) وبذلك جعل الأدب بمعناه الخاص في خدمة العلوم الدينية الإسلامية. بل جعل أغراضه تهذيبيه، لكنه أعطى للادب معنى شاملا - وقد سماه علماً - بقوله:

((فقد زهد الناس في علم الأدب وجهلوا قدر الفائدة الحاصلة منه حتى ظن المتأدب أن أقصى غاياته أن يقول ابياتا من الشعر والشعر عند (العلماء) أدنى مراتب الأدب لأنه باطل يجلى في معرض حق، وكذب يصور بصورة حق)) ثم يلطف خواطر من آذاه هذا الذم بقوله أو يقيد بعد إطلاق إذ يقول: ((وهذا الذم انما يتعلق بمن ظن صناعة الشعر غاية الفضل وافضل حلى أهل النبل فاما من كان الشعر بعض حلاه وكان له فضائل سواه ولم يتخذه مكسبا وصناعة ولم يرضه لنفسه حرفة وبضاعة فإنه زائد في جلالة قدره ونباهة ذكره)) إلا انه يفرق بين النحو و (العلوم الأدبية) بالقول: ((وحد المنطق كتاب يتخذه المتفلسفون مقدمة للعلوم الفلسفية كما يتخذ المتأدبون صناعة النحو مقدمة للعلوم الأدبية)) وهذا التفريق بين النحو (المقدمة) أو (الوسيلة) وبين (العلوم الأدبية) وهي (الغاية) يمكن أن نستنتج منه ان العلوم الأدبية تشمل عموم المعارف وضروب الثقافة بما فيها الدينية. وفي كلام البطليوسي -كما يبدو - دعوة لدراسة النحو درس (وسيلة) وليس (غاية) لكي لاتخرجه عن رسالته العلمية واتخاذ النحو وسيلة أو مقدمة لدراسة العلوم الدينية هو نهج معظم العلماء لكنهم لم يقولوا مقدمة للعلوم الأدبية كما قال البطليوسي فهذا الغزالي - مثلاً - يرى أن علم اللغة والنحو آلة[١٢٤] لعلم كتاب الله تعالى وسنة رسوله وهو وإن استعمل لفظة الأدب الا ان استعماله لها كان اخلاقيا أو تعليما ارشاديا فهناك فصول[١٢٥] في (آداب الطعام والضيافة) و (آداب النكاح) و(آداب الكسب)

---

[١٢٤] الغزالي، احمد بن محمد بن محمد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)، إحياء علوم الدين،مطابع سجل العرب، مصر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج١، ص ٢٨.

[١٢٥] المصدر السابق ج٢ ص٤ وما بعدها، ص٢٧ وما بعدها، ص٧٨، وما بعدها، ص٥٤

و(آداب المعاشرة).

(١١)

ونلاحظ في القرون المتأخرة – منذ القرن الخامس – سيادة الاستخدام الشمولي للاداب بسبب النهضة العلمية التي وضحت في القرن الرابع الهجري هذا الاستخدام والفهم الشمولي نجده في عدد من ضخام كتب الأدب مثل (معجم الأدباء) لياقوت الحمودي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨ م) الذي ترجم لكثير من الفلاسفة والمؤرخين وعلماء الدين ورجال السياسة ونقل في التفريق بين الاديب والعالم القول[١٢٦] : ((أن الأديب من يأخذ من كل شيّ أحسنه فيألفه والعالم من يقصد لفن من العلم فيتعلمه[١٢٧])) ونجد هذه الشمولية في كتاب (نهاية الارب في فنون الأدب) للنويري (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢ م) الذي اشتمل على علوم متعددة[١٢٨] في الفلك والانسان والحيوان والنبات والتاريخ والدين.

(١٢)

اما ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥ م) فقد خصص ثم عمم في تعريفه الأدب بقوله[١٢٩] ((الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم

وما بعدها.

(١٢٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تصحيح د.س مارجليوث، ج١، ص ١٧.

(١٢٧) اعتمل فلان: عمل لنفسه أو تصرف في العمل

انظر المعجم الوسيط، ج٢، ص ٦٢٨ مادة (عمل).

(١٢٨) شهاب الدين النويري، احمد بن الوهاب بن محمد (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، نهاية الأرب في فنون الأدب.نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب، مصر بلا تاريخ ج١ ص ٤ – ١٨.

(١٢٩) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٩٠.

بطرف)) لكن العموم هو الراجح عند ابن خلـدون يقـول عقـب تعريفـه الأدب انـه ((علـم لاموضـوع لـه)) وهـو فـي جانبـه العمومـي يشـبه تعريـف الجرجـاني[١٣٠] (ت٨١٦هـ/ ١٤١٣م) الذي يقول فيه[١٣١] : ((الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ)) ولـم تكـن هـذه الشـمولية فـي دلالـة الأدب بجديـده إذ بدأها اخوان الصفاء في القرن الرابع للهجرة ولكن الجديـد وضعهـا فـي تعريفـات على طريقة المناطقة. وبالرغم من سيادة الدلالة العامة لـلادب وشـمولية مفهومـه في القرون المتأخرة إلا انه لا يمكن إنكار الاستخدام بدلالة أخص فـي هـذه المدة إلا انه لم يكن من الضيق بالدرجة التـي يتصورهـا الكثـير مـن النـاس إذ انطـوى تحـت هـذه الدلالـة الخاصـة ألـوان مـن المعـارف وهـي – إن صـح التعبـير – خصوصية من وجه وعمومية من وجوه كما نلاحظها في عـدد مـن امهـات كتـب الأدب مثل (البرهان في وجـوه البيـان)[١٣٢] لابـن وهـب (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢ م) وكتـاب (زهـر الاداب)[١٣٣] للقيرواني (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢ م) الـذي أشـبه فـي طريقته كتاب (الامالي) لابي علي القالي وكتاب (البيـان والتبيين) للجـاحظ الـذي ينقل القارئ من حديث إلى حديث ليتخلل كل ذلك وقفات نقدية.

وتقـرأ تلـك (الخصـوصيـة العامـة). فـي كتـاب (المنتخـب مـن كنايـات

---

[١٣٠] الجرجاني هو علي بن محمد بن علي الفيلسوف ومن علماء العربية ولـد فـي تـاكو قـرب استراباد ودرس في شيراز له نحـو خمسين مصنفاً (ت٨١٦هـ/١٤١٣م)، (انظـر، الزركلـي، الأعلام، ج٥، ص ١٥٩).

[١٣١] علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ/١٤١٣م)، التعريفـات، لايـبزك ١٢٦١ هـ/١٨٤٥م، ص١٤.

[١٣٢] ابو الحسين احمد بن سلميان بـن وهـب الكـاتب (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م)، البرهـان فـي وجـوه البيان. تحقيق د. احمد مطلوب و د. خديجة الحديثي، ط١، مطبعة العـاني، بغداد، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م، طبع هذا الكتاب من قبل باسم (نقد النثر) ونسب خطأ لقدامـة بـن جعفر. ص ٥٦ و ٢٣٥ و ٣٣٤ و ٣٥٠.

[١٣٣] مر ذكره في هامش رقم (١٠٤).

الأدباء)[١٣٤] لمحمد الجرجاني (ت ٤٨٢هـ/١٠٨٩ م) وكتاب (لباب الاداب)[١٣٥] لاسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ/١١٨٨ م) وكتاب (المحمدون)[١٣٦] للقفطي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤ م). اما ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ/ ١١٨١ م) فقد عدّ علوم الأدب ثمانية[١٣٧] : النحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي وصنعة الشعر وأخبار العرب ثم قال والحقنا بالعلوم الثمانية علمين وضعناهما: علم في النحو وعلم اصول النحو. وفي هذا الأتجاه أراد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣ م) أن يجعل للادب حدا علميا من الحدود (الجامعة المانعة) على طريقة المتكلمين فعرفّ الأدب[١٣٨] بأنه العلوم التي يحترز بها عن الخلل في كلام العرب لفظاً وكتابة وجعلها اثنى عشر منها اصول وهي: اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي ومنها فروع وهي الخط وقرض الشعر والانشاء والمحاضرات ومنه التواريخ وحذا الوطواط (ت٧١٨هـ/ ١٣١٨ م) في غرر الخصائص هذا الحذو إلا أنه جعل الأدب مقابلا للجهل إذ اورد عبارة للمأمون تقول[١٣٩] ((والله لئن اموت طالبا للأدب خير من أموت قانعا بالجهل)).

---

[١٣٤] محمد الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ/١٤١٣م)، المنتخب من كنايات الأدباء واشارات البلغاء، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م، ص٤٨و٥٣و٩٥.

[١٣٥] أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)، لباب الآداب، تحقيق احمد محمود شاكر، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥ م، ص ٢٢٧و٢٣٥-٢٣٨و٣٥٥.

[١٣٦] القفطي، يوسف بن ابراهيم بن عبدالواحد (ت٦٢٤هـ/١٢٢٧م)، المحمدون من الشعراء، تحقيق حسن معمري، مطبعة المتنبي، بيروت، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م، ص ٢٣٩.

[١٣٧] ابن الانباري، محمد بن محمد (ت٥٧٥هـ/١١٧٩م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي ص ٧٦.

[١٣٨] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج ١، ص ٣٢.

[١٣٩] الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ص ١٤٠ – ١٤١.

(١٣)

ورغم ظهور التخصص الدقيق في العلوم عامة في عصرنا الحديث إلا أن الأدب بقي في منأى من ذلك قياسا على غيره من العلوم التي حددت بتعريف أو قيدت اتجاهاتها. بل نجد ان الأدب قد تعددت مباحثه، واتسع نطاقه مستفيدا مما وصلت اليه العلوم الحديثة من نظرات واكتشافات في علم النفس و البايولوجيا والفيزياء وغيرها بتأثير من النهضة العلمية الشاملة في أوربا وبخاصة بعد مطلع هذا القرن. حتى كادت المباحث الأدبية والنقدية العربية تكون محاكاة أو نقلا وترجمة من المباحث الأوربية. ولكن هذا التأثير – وإن كان من الطبيعي أن يحصل – إلا انه لم يراع طبيعة اللغة العربية وأدبها وتأريخها بل ان بعضه لم يراع الجانب الإنساني والذاتي العميق للأدب عامة فاغرق في إخضاعه للمقاييس الرياضية، والنظريات العلمية الصرفة كنظرية النشوء والارتقاء ونظريات علم النفس .... وهذا ما سأعرض له في الفصل الثاني من هذا الكتاب وإفراط التأثير الإفرنجي كما يقول نالينو[١٤٠] لم يخل من الأضرار بأدب الشرق لأنه ربما ابعد الناس عن العناية بلغتهم، وادخل في تأليف البعض وبخاصة المجلات والجرائد العجمة المستقبحة والتراكيب الشاذة غير ان تأثير الثقافة الأوربية في أدبنا اكبر بكثير من تأثير أدبنا في الثقافة الأوربية لسبب واضح هو ان الثقافة الأوربية بالنسبة لنا تمثل ثقافة الأقوياء حيال الضعفاء وثقافة المتطور إزاء المتخلف الذي يجد في أول أسوة يتحدى بها ويحاكيها. ولكن أوربا قد أفادت – أيضا – في فنونها الأدبية الحديثة من بعض التراث العربي ففي هذا الاتجاه ((كانت ترجمة[١٤١] قصة (حي بن يقظان) لابن طفيل قد مهدت لنشوء القصة الأوربية

---

[١٤٠] نالينو، تاريخ اداب اللغة العربية، ص٦٠.

[١٤١] ترجمت هذه القصة إلى اللاتينية سنة (١٠٨١ هـ - ١٦٧١ م) وصدرت من جامعة اوكسفورد(انظر عباس العقاد، بحوث في اللغة والأدب، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، ١٣٩٠

الحديثة وان (دانيال دفوي) مؤلف قصة (روبنسون كروزو) الذي كان يافعا عند ظهور الترجمة اللاتينية قد سلك على نهجها في تصويره للجزيرة المنعزلة والانسان المعتمد على نفسه في تدبير مسكنه وملبسه ومعاشه))[١٤٢] وقد أثنى (برونلي) مترجم قصة (حي بن يقظان) من العربية إلى الإنجليزية وناشرها في سلسة حكماء الشرق أثنى بقوله[١٤٣] : ((إن تلك القصة التي وهبها للعالم آية باقية الحسن دائمة النضرة)).

(١٤)

فالتأثير والتأثر بين الاداب العالمية والتعاون المتبادل (الرشيد) المبرأ نسبيا من (مركب النقص) أمر طبيعي ومطلوب لتقدم انساني شمولي.

وقد تنبه دعاة التجديد في الأدب اللاتيني احتذاء بالادب اليوناني فاخترعوا لذلك ما سموه بنظرية ((المحاكاة))[١٤٤]. وهي غير نظرية (محاكاة الطبيعة) الشهيرة التي دعا اليها ارسطو وانما اراد أولئك الدعاة بنظرية محاكاتهم تلك الإفادة من الطريق القيم في الأدب اليوناني رغبة في إغناء أدبهم والنهوض به.

ولتبادل التأثير والتأثر مجال تنافس وحيوية واقوى ضمان لتقدم الأدب الوطني والقومي. للفيلسوف الفرنسي دالمبير (١٣٠٠ هـ-١٨٨٣م) الذي عاش عصر التمهيد للثورة الفرنسية يقول[١٤٥] : ((على كل الأمم المستنيرة أن تعطي

هـ/ ١٩٧٠م، ص ١٥٩).

[١٤٢] المرجع السابق، ص ١٥٩.

[١٤٣] المرجع السابق، ص ١٥٩.

[١٤٤] محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنقد مطبعة نهضة مصر، القاهرة (بلا تاريخ)، ص٤٣و٤٥.

[١٤٥] محمد غنيمي هلال، دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر،

وتأخذ فهذه حقيقة جد جوهرية لتقدم الآداب)).

وتوقع جوته ومن ساروا على نهجه مما سموه (الأدب العالمي) أن الاداب العالمية في المستقبل المنشود حين يتم تجاوبها بعضها مع بعض لن تلبث أن تتوحد جميعها في اجناسها الأدبية وأصولها الفنية وغاياتها الإنسانية(١٤٦).

(١٥)

ولكن من الخطر العمل على قطع الصلة بين الأدب العربي الحديث وبين الأدب العربي القديم وفصل الأخير على انه (كلاسيكي) لان ذلك من شأنه أن يشكل نتائج غير صحيحة ومسلمات ضالة تجعله بعد ذلك قابلا للاحتواء والانصهار، فمجال الفكر والشعور لم ينقطع لحظة فهو متصل اتصال الفعل وردود الفعل ومرتبط ارتباط الأسباب والنتائج مرحلة بعد مرحلة. بل لايمكن فهم الأدب العربي الحديث منفصلا عن المراحل السابقة له، فضلا عن ان الأدب العربي القديم الذي قطع مرحلة طويلة قد تعددت فيه التجارب وعمقت. اما ادبنا الحديث – وفق التقسيم السياسي لعصور الأدب طبعا – فوليد لم يجاوز عمره قرنا واحدا من الزمان(١٤٧).

فالطفرة في التقدم العلمي والادبي مستحيلة فكلاهما وليد التراث الإنساني والعوامل الفكرية المعاصرة معا. كما أن التجديد لايقطع الصلة بالقديم، ولم يكن للجديد أن يتولد دون القديم وانه لا انطواء لأدب على نفسه أي لاعزلة بين الاداب. وان الأصالة المطلقة مستحيلة أيضاً فاكثر الكتاب والشعراء أصالة مدين

مطبعة نهضة مصر، القاهرة، بلا تاريخ، ص ٣٢.

(١٤٦) المرجع السابق، ص ٢٧.

(١٤٧) أنور الجندي، الشعوبية في الأدب العربي، ص١٢٤-١٢٥.

لسابقيه[148].

[148] محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، ص٤٢ و٤٥.

(١٦)

والأدب منذ القرن التاسع عشر اخذ يدل على معنيين[١٤٩] :

معنى قابل كلمة (litterature) الفرنسية التي يطلقها الفرنسيون على كل ما يكتب في اللغة مهما يكن موضوعه ومهما يكن أسلوبه سواء أكان علما أم فلسفة أم ادبا خالصا. ومعنى خاص يراد به التعبير عن المعاني بأسلوب يؤثر في عواطف القارئ والسامع. وانتقل المفهوم الأوربي للادب الينا بعد منتصف القرن التاسع عشر بسبب الاتصال الواسع بين الشرق والغرب وما نقلت فيه من كتب فرنسية وإنجليزية. وهم يستعملون الكلمة – أيضاً – في الدلالة على مآثر أي لغة خلافا للسلف من العرب فأنهم على وفرة المعاني التي وضعوا لها لفظ الأدب لم يستعملوه للدلالة على الكتب والعلوم الأعجمية لأنهم اغفلوا البحث عن اداب اللغات الأجنبية فلم يؤلف أحد في لغة اليونان والرومان والهند والسريان وغيرهم. وان الذين اعتنوا قديما بلغة الترك والفرس قليلون جدا لا يكادون يجاوزون عدد أصابع اليد مثل: ابي حيان محمد بن يوسف الغرناطي (ت ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤ م) صاحب كتاب (الادراك للسان الاتراك) الذي طبع بالقسطنطينية سنة(١٣٤٩ هـ/١٩٣١م) والزمخشري (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣ م) الذي وضع مقدمة الأدب على صفة قاموس عربي فارسي فنقل عدداً وافراً من كتب العلوم الرياضية والفلسفية والطبية والكيماوية مما صنف بلغات الهند والفرس واليونان لكنه لم يترجم لأحد ادباء اليونان والرومان والهند ما عدا تاريخا مختصرا لهيروسيوس (٥٠٠م) كما لم يترجم خطبة بليغة ولا شعرا ولا رواية[١٥٠].

---

[١٤٩] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص١٠.

[١٥٠] نالينو، تاريخ الأداب العربية، ص٥٢ و ٥٣.

(١٧)

ونقرأ تعريفات متعددة للادب عند الأوربيين فهم يقولون في تعريفه مثلاً –في معناه الخاص– من انه (صياغة فنية لتجربة بشرية)[١٥١] وقد فسر الأدباء المعاصرون التجربة البشرية بمعناها الضيق فقالوا: انها التجربة الشخصية التي يجب أن يصدر عنها الشاعر وإلا كان شعره كاذبا. وفسروا الكذب بالتصنع المفتعل الذي لا يستند إلى تجربة. وغفلوا أن التجارب يمكن أن تكون شخصية، أو تأريخية، أو اسطورية، أو اجتماعية أو(خيالية)[١٥٢] فالأدب حيث يكون (تعبيراً عن تجربة) فإن هذه التجربة ذات مدلول واسع تدخل فيه التجربة الذاتية وغير الذاتية والمعاصرة للأديب والقديمة بل يمتد الخيال إلى ما لم يقع للأديب فعلاً، وما لم يكن بين يديه ثم يصوغها في صورة لغوية جميلة[١٥٣]. فالعمل الأدبي – بخصوص مدلوله – يحمل فرديته وعموميته، وفرديته تأتي من انه صادر عن فرد وعموميته تأتي من انه موجه إلى جماعة. وهنا نجد أنفسنا امام مشكلة ذات جانبين: هي مشكلة العلاقة بين الأدب والمجتمع. اما الجانب الأول فيبحث فيه عن موقف الأدب من المجتمع، وعن المضمون الاجتماعي لاعماله الأدبية ذاتها. واخيراً عن اثر هذا الأدب في المجتمع. واما الجانب الثاني فندرس فيه ظاهرة

---

[١٥١] محمد مندور، الأدب ومذاهبه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤م، ص ٩.

تلك اقتراحات لتعريف العمل الأدبي. لان هذا العمل هو الشيء القائم الملموس وهو ما يمكن تناوله بالدرس، اما الأدب ذلك الشيء المجرد فانه ليس بالإمكان تعريفه.

انظر : عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، مطبعة السعادة، مصر بلا تاريخ، ص٣٦.

[١٥٢] المرجع السابق، ص ٩.

[١٥٣] علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٩م، ص ٢٩.

العبقرية المبدعة الخاصة بالأديب، واستقلال هذه العبقرية عن مجتمع بذاته[١٥٤] والبحث عن العوامل التي أثرت في حياة الكاتب أو الشاعر لايمكن ان تنتهي إلى شيء نهائي إذ مع تلك المؤثرات هناك أصالة الاديب التي تتلخص في كيفية انفعاله بتلك المؤثرات[١٥٥]. وهي الأصالة التي هي بعض معاني مصطلح (الفروق الفردية) في علم النفس. إذ إن بعض تلك الفروق مما يرثه الإنسان في تكوينه التشريحي والنفسي. والأديب حين يتأثر بالمجتمع انما يعكس فهمه هو على هذا المجتمع. والأدب تصوير لهذا الفهم ونقل له. أما ان ينقل الاديب حياة المجتمع، أو ان يكون المرآة التي تعكس حياة هذا المجتمع فعبث ليس من الأدب في شيء. فالأديب يتخذ لنفسه موقفا فكريا من مجتمعه. ومن هنا تأتى الفرصة لأن نقول إن الأديب يؤثر في مجتمعه[١٥٦]. إذ لاحيدة في الفن لان العمل الأدبي ادراك خاص للحياة[١٥٧].

(١٨)

وعرف الأوروبيون الأدب (الخاص) – أيضاً – بانه (نقد للحياة)[١٥٨] وكلمة نقد (criticism) في هذا التعريف تستعمل في معناها الاشتقاقي فهي مأخوذة من الفعل اليوناني(crino) ومعناها يميز. فكلمة (النقد) الأوربية معناها هو تمييز العناصر المكونة للشيء الذي ننقده وليس معناه الأصلي تقويم ذلك الشيء والحكم بجودته. وإذا كان هناك مجال للتقويم فانه يأتي تابعا للتمييز بين

---

[١٥٤] عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، ص ٤٤.

[١٥٥] محمد مندور، في الميزان الجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م، ص ١٣٨.

[١٥٦] عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، ص٤٤.

[١٥٧] محمد مندور، الأدب ومذاهبه، ص ٢٠.

[١٥٨] المرجع السابق، ص ٢٠.

العناصر المختلفة ووصف أو تحليل كل عنصر وتحديد أهميته في النسيج العام. فعبارة (نقد الحياة) هي نقد حياة الاديب الخاصة وحياة غيره من الأفراد مجتمعاً وإنسانية وبذلك يتسع مجال الأدب فيشمل الأدب الذاتي والموضوعي وقد يمتد إلى ما وراء العالم المحسوس من مجردات[١٥٩].

ويكادون يتفقون على ان الأدب (الخاص) يشمل جميع (الآثار اللغوية التي تثير فينا بفضل خصائص صياغتها انفعالات عاطفية أو احساسات جمالية) وبذلك لا يميزون الأدب بالصنعة فحسب بل يميزونه بأثره النفسي الذي ينبعث عن خصائص صياغته وبهذا التمييز يخرج من الأدب (الخاص) التفكير العلمي الجاف والتفكير الفلسفي المجرد ولكنه لا يخرج الكثير من الكتابات الفلسفية أو الاجتماعية أو التاريخية والمذكرات السياسية المصوغة صياغة فنية التي تحمل من عوامل الإثارة، ومن الخصائص الجمالية ما يفرضها على كتب تاريخ الأدب ومناهجه[١٦٠]. كمحاورات أفلاطون وكتابات شوبنهور وبيرجسون ففيها من نصاعة الأسلوب واشراق العبارة وبراعة الملاحظة وحسن التقسيم ما يرغم المتأمل على الحاقها بكتب الأدب[١٦١]. فالعمل الأدبي (الخاص) بناء لغوي يستغل كل إمكانات اللغة الموسيقية والتصويرية والايحائية والدالة في أن ينقل إلى المتلقي خبرة جديدة منفعلة بالحياة[١٦٢]. ورغم اشتراك الأدب (الخاص) مع الفنون الجمالية التشكيلية في التعبير عن الحالات النفسية والوجدانية إلا انه ينفرد عنها بان أداة التعبير فيه هي اللغة التي تعتبر اعمق دلالة واوغل في الوعي الاجتماعي من دلالات الفنون الأخرى، وهي أصرح واقوى في تصويرها

---

[١٥٩] المرجع السابق، ص ٢٠.

[١٦٠] المرجع السابق، ص ٧.

[١٦١] علي أدهم، فصول في الأدب والنقد والتاريخ،الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م، ص ٢٤٨.

[١٦٢] محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، ص٣٣.

ومعانيها الاجتماعية من وسائل الفنون الأخرى(١٦٣).

وفي هذا المعنى فرق الكاتب البريطاني (دي كونسي) بين (أدب المعرفة) و(أدب القوة) ووظيفة أدب المعرفة - في رأيه - هي ان يمدنا بالمعلومات. وغاية أدب القوة تحريك العواطف، وإثارة المشاعر. فأدب المعرفة للتعليم وأدب القوة للإثارة. ويدخل في النوع الأول جميع المؤلفات التي ترمي إلى بث المعلومات وتوسيع نطاق المعرفة، أو إثبات فكرة وتأييد مذهب والدفاع عن قضية مثل كتب الفلسفة والدين والعلم والاقتصاد والتاريخ والسياسة والرحلات والتراجم ويدخل في النوع الثاني الشعر والرواية والتمثيلية والقصة إذا كانت ترمي إلى غاية فنية خالصة(١٦٤). إذ من السهل - إلى حد ما - أن نميز لغة العلم من لغة الأدب (الخاص) على ان مجرد الاختلاف بين الفكر والشعور ليس كافياً فالأدب يحتوي فعلاً على فكر. على حين أن اللغة الانفعالية لا تقتصر إطلاقا على الأدب. ويكفي أن نستمع إلى حديث عاشقين أو مشاجرة عادية(١٦٥).

(١٩)

ولذا كان لازدواج (الفكر) و(الشعور) في العمل الأدبي وامتزاجهما هو الذي جعل (الأدب) ابعد من غيره عن التحديد والتعريف. ((ولذا فإن حقائق الأدب النفسية اكثر ثبوتا وخلودا في الحياة الإنسانية من حقائق العلم الصرفة فشعر هوميروس والمتنبي وشكسبير وغيرهم مازال يمتعنا ويغذي فكرنا كما كان

---

(١٦٣) محمد غنيمي هلال، في النقد التطبيقي والمقارن، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، بلا تاريخ، ص ١٢٥.

(١٦٤) علي أدهم، فصول في الأدب والنقد والتاريخ، ص٢٤٨-٢٤٩.

(١٦٥) اوستن وارين، ورينية ويليك، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، ط٣، مطبعة خالد الطرابيشي، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

يمتع معاصريهم اما حقائق العلم التي كانت تعاصرهم فقد بليت وذهبت))[١٦٦] ومرجع ذلك أن نظريات العلم تتجدد وانها عرضة للتغير في حين ان الأثار الأدبية تستمر فاعلة لأنها قائمة على أشياء ثابتة فينا فالناس سيظلون يحيون بالدوافع والعواطف والبواعث نفسها وهم في عواطفهم وغرائزهم وانفعالاتهم الوجدانية لا يكبرون ولا يشيخون[١٦٧] ولهذا السبب فإن الأيحاء في الأدب وما يرافقه من المعاني واتساعها هو الذي يجعل ترجمتها ونقلها من لغة إلى لغة من اشق الممكنات وأكثرها عسرا وصعوبة. ولعل هذا الاتساع في معاني تلك الكلمات هو الذي جعل الأدباء من قديم يحملونها معاني كثيرة إذ ان الألفاظ تتغير على السنة الأدباء وتتحول قليلاً أو كثيراً حسب اراداتهم الفنية[١٦٨]. فلتلك الكلمات بجانب معنييها البياني واللغوي معنى ثالث: صوتي (موسيقي) يستخدمه الشعراء والمنشئون لكي يتكامل فيها الأداء العاطفي. مما لا تستطيع نقله وأداءه المعاني الذهنية المجردة[١٦٩] وبسبب تلك الازدواجية بين (الذاتية) و(الموضوعية) أو بين (الفكر) و(الشعور) في الأدب. وبسبب شموليته وسعة دلالته صار على الاديب والناقد الأدبي ان يعدد جوانب معرفته وثقافته وان يلم بمجموعة من العلوم فلا بد له مثلا من ان يقف على الفكر الفلسفي لكي يفهم شاعراً مثل ابي العلاء وكيف يستطيع متخصص أو باحث في (الأدب العباسي!) ان يسبر اغواره بدون الوقوف على المذاهب الكلامية واراء المعتزلة والمرجئة وغيرهم.

---

(١٦٦) شوقي ضيف، في النقد الأدبي،الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر ١٣٨٣ هـ/١٩٦٢م، ص ٧٠.

(١٦٧) المرجع السابق، ص ٧١.

(١٦٨) شوقي ضيف، البحث الأدبي، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م، ص١٥.

(١٦٩) المرجع السابق، ص ١٦.

(٢٠)

وربما كانت مهمة الدارس للأدب الحديث اكثر مشقة إذ لابد له من الوقوف على الأداب الأجنبية المتنوعة والإلمام ببعض لغاتها. نظراً لاتساع مدلوله وشموليته عندهم. فمنهم من يعرف الأدب بأنه كل شيء قيد الطبع وان كل ما يمت إلى تاريخ الحضارة بصلة لا يخرج عن مجاله[١٧٠] بل هم يرون الأدب (الخاص) ايضاً كل (الكتب العظيمة) التي تشتهر لشكلها الفني وتعبيرها الجميل مهما كان موضوعها، والمعيار اما ان يكون لجدارة جمالية، أو جدارة جمالية بميزة فكرية عامة[١٧١]. ورغم ما في مصطلح الأدب literature عندهم من شمولية وعموم الا ان بعضهم اعترض من ان اشتقاقة بالإنكليزية يوحي بالاقتصار على الكلمة المكتوبة أو المطبوعة ولهذا يرون ان كلمتي workunst الألمانية و slovesnost الروسية تتفوقان على مثيلتها الإنكليزية[١٧٢] فاطلقها بروكلمان[١٧٣] الألماني بأوسع معانيها على كل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي ليوصله إلى الذاكرة وهو بذلك يلتقي مع تعريف أو رأي ابن خلدون في مفهوم الأدب إلى حد كبير.

(٢١)

غير أن النظرة الضيقة للادب – عندنا – في بعض عصوره السابقة التي رأته في فتراته السابقات في الشعر والنثر الفني أي نثر الخطب والرسائل

---

[١٧٠] لاوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، ص ١٩.

[١٧١] المرجع السابق، ص ٢٠.

[١٧٢] نفسه، ص ٢٢.

[١٧٣] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، ط٤، مصر، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م، ص ٣.

والمقامات والأمثال السائرة كان له أثره في نظـر الجيل إلـى الأدب الـذي اخـرج الكثير من النثر من عالم الأدب، بخلاف النثر عند الغربيين الذي يشمل الكثير من الكتابات الفلسفية والتاريخية والاجتماعيـة فضـلاً عـن النـثر بمعنـاه الضيـق الـذي يشمل القصـة والأقصوصـة والمقالـة والـتراجم والمسـرحيات وهـو الأدب الـذي احتذيناه. حتى وجدت لدينا كل الفنون النثريـة، بينمـا اختفـت فنـون النـثر العربـي القديمة كالمقامة وما اليها بعد أن تحلـل النـثر الحديـث مـن الصنعـة اللفظيـة التـي كانت عماد تلك الفنون القديمة[١٧٤] وأن من الأنصاف القول ان النظرة الأوروبيـة للشعر اعمق من نظرتنا وابعد مدى. ولعل ذلك يعود إلى رسوخها في ثقافتهم منذ ازدهارهم الفكري القديم على عهد اليونـان. فقد كـان ارسـطو يـرى ((ان الشـعر ألصق بالفلسفة لطرحـه أمـوراً يمكـن ان تحـدث))[١٧٥] أي مناقشته لأمـور عامـة ومحتملة. في حين سيطرت عقلية (العمود الشعري) في تاريخنا الشعري خاصـة، وخنقت محاولات تعميق الشعر العربي ورفد موضوعاته بمواد فكرية وحضارية، وكان الصوت الغالب للشكلية (البحترية) التي رفعت سيف التقليد والجمـود بوجـه بدايات النهوض الفكري للشعر العربي على يد ابي تمـام فلـم يظهـر فـي تاريخنـا الشعري الا قلائل من أمثال ابي الطيب والمعري.

---

[١٧٤] محمد مندور، الأدب ومذاهبه، ص ٢٣.

[١٧٥] لاوستن وارين، نظرية الادب، ص ٣٥.

الفصل الثاني

عن تاريخ الأدب

(١)

يعد (تاريخ الأدب) أشق عمل علمي على الإطلاق، ذلك لان التاريخ الأدبي ليس كغيره من العلوم لما يشتمل عليه من ازدواجية تجمع بين الفن والعلم ولانه يؤرخ لموضوع لا موضوع له على وجه التحديد ولما للآداب من شمولية واطلاق. فمؤرخ الاداب – حين يلتزم المعنى العام لهذه الكلمة – فأن عليه أن يصف سير العلوم وأحوال مشاهير الثقافة والمعرفة في الفلك والفلسفة والرياضيات والطب... الخ وإذا اراد الاقتصاد في القول فانه يمتنع عن الخوض في المسائل الخاصة والتفاصيل. بل هو محتاج حتى في التاريخ للأدب في معناه الخاص أن يؤرخ لموضوعات وعلوم أخرى لصلتها المباشرة بهذا الأدب واشتغال رجاله بتلك العلوم أيضاً كعلوم الشريعة الإسلامية والأديان والفلسفة ... وغيرها. فالتاريخ الأدبي من خلال قيمته التاريخية الصرفة يحدثنا عن الأدب وما اختلف عليه من أطوار وما عمل فيه من مؤثرات متباينة العصور والبيئات وهو يتجاوز التاريخ بعض التجاوز ويهون على طلاب الأدب درس الأدب والتعمق فيه دون أن يضيعوا من وقتهم الشيء الكثير في تحصيل ما لابد لهم من خلاصاته ولاسيما إذا كانوا لايريدون ان يتخصصوا في الأدب فهو يريحهم وعامة المستنيرين من قراءة (اشارات) ابن سينا و(شفائه) وما ترجم لارسطو وما عرف من الهنود والفرس ليفهموا شعر ابي العلاء فيضع لهم خلاصات تلك المعلومات ويبين لهم مبلغ تأثيرها في الأدب العلائي. ونظرا لتلك الازدواجية فان تاريخ الأدب يجب ان يكتبه (اديب) فهذا (التاريخ) لا يستطيع ان يعتمد على مناهج البحث العلمي الخالص وحدها، وانما هو مضطر معها إلى الذوق. فهو ليس بحثاً موضوعيا (Objective) تماما وليس ذاتيا (Subjective) تماما– إن لم تكن الغلبة للمدلول الثاني. وهو إذن بين العلم الخالص والأدب الخالص فيه

(موضوعية) العلم وفيه (ذاتية) الأدب[1].

وبذلك يلتقي تاريخ الأدب مع النقد من ناحية واحدة هي انهما يعتبران ادبا وصفيا غير ان النقد يبين ما يمتاز به الأدب من محاسن وعيوب. وتاريخ الأدب يبين ما يختلف على الأدب من الأحوال والأطوار، وما ينشأ عن ذلك من رقي وانحطاط[2] فلفظ التاريخ نستعمله نحن الآن فيما يستعمل فيه الأوربيون لفظ (Histoire) وأصل هذه الكلمة الوصف. فتاريخ الأدب معناه وصف الآداب وصفاً علمياً من بعض الوجوه. كما ان التاريخ الطبيعي معناه الوصف العلمي للكائنات الطبيعية. ومن أراد أن يصف شيئا وصفا علمياً فنياً صادقاً كان لا بد له من العلم بما يصف[3].

وتاريخ الأدب (الخاص) يقوم على جهود علمية متفرقة تهيئ له مواده الأولية فهو محتاج الى استكشاف النصوص وتحقيقها وتفسيرها، فعليه ان يتسلح بجملة من العلوم التاريخية والجغرافية والفلسفية وفي الأديان وغيرها بعد تهيئة مقدمته المتمثلة بالمواد اللغوية من نحو وصرف وبلاغة.

(٢)

وتبدو العسرة في كتابة تاريخ الأدب – أيضاً – من أن حياة كثير من كتابه وشعرائه وعلمائه مجهولة أو كالمجهولة لا نكاد نعرف منها الا ما حفظه كتاب الأغاني وكتب التراجم والطبقات. فضلاً عن ان التاريخ السياسي والعلمي والعربي لم يدون بعد على وجهه. وتاريخ المذاهب والاراء لم يتجاوز كتاب (الملل النحل) للشهرستاني أو (الفرق بين الفرق) للبغدادي. واداب الكثرة من

---

(١) طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص ٣٣.

(٢) طه حسين وجماعته، التوجيه الأدبي، ص ٩.

(٣) طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص ٥٤.

الأمم الإسلامية التي تكلمت العربية مجهولة أو كالمجهولة لانستثني من هؤلاء الا الذين عاشوا في الشام والعراق والحجاز في اثناء القرون الثلاثة الأولى بعد الإسلام[٤].

لان اللغة العربية لم تبق مقيدة بحدود أمة واحدة. بل صارت أداة كل ثقافة وحضارة في المحيط الواسع الذي نفذ اليه الإسلام. ولم تتنازل اللغة العربية للغات الوطنية عن أداء هذه المهمة الا في وقت متأخر. وفي بعض الجوانب فحسب[٥] وتاريخنا الأدبي ليس تاريخاً ناضجاً لجهلنا كثيراً من الشخصيات الأدبية والفكرية وبسبب جهلنا المؤثرات الفكرية والعقائدية في أدب كثرة من الشعراء والكتاب فلا زال الغموض يحيط ببعض مشاهيرهم كالمتنبي والمعري والتوحيدي بله غير المشاهير في حدود مفهوم (الشهرة) في تاريخنا بالطبع.

فنحن نجهل حقيقة المذاهب والأفكار السياسية والدينية التي أثرت في كثير منهم وقد جاء اغلب هذا التاريخ مشوشا أو مشوها بسبب فقدان الأمانة العلمية والروح الموضوعية في التاريخ لاثارها لطغيان روح الميل والتعصب أو خضوعها لتأثيرات الإكراه السياسي أو المذهبي والفكري. فلم يسمح لكثير من المفكرين والشعراء بالحديث عن معتقداتهم. بل لم يسمح ببقائهم أحياءً وفي تاريخ المشاهير الثلاثة (المتنبي) و(المعري) و(التوحيدي) وغيرهم لشاهد صدق على هذا الإكراه والاضطهاد. فصمت بعضهم، ولجأ البعض الى كتابة أفكاره ومعتقداته في أدب رمزي تلويحي يتفنن في إخفائه وستره مما يجعل أدبه بحاجة الى جهد كبير لفك رموزه إن لم تكن تلك الرموز قد أحيطت بجملة من التأويلات والتفسيرات العدائية أو حرف بعضها فأضيف الى الأصل امعانا في الوقيعة والإيذاء.

---

[٤] المرجع السابق ص ٥٤.

[٥] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي. ترجمة عبد الحليم النجار، ج١١ ص ٤.

ويلاحظ الدارس لتاريخ الأدب ان الأوليات الأساسية التي وضعت في هذا المجال كانت بدايات غريبة عن واقع الأدب العربي، وبعيدة عن الظروف التي نشأ فيها. فالادب العربي أرخ من خلال كتب الطبقات وهي كتب وضعت وفق مفاهيم ذلك العصر ونظرته الى الشعر والأدب[٦]. وترجع تلك الأوليات الى انتصاف القرن الثالث الهجري على التقريب حين بدأت علوم اللغة العربية تنشأ وتنمو وتستقل باسمائها فكان النحو والصرف. كما اخذت حركة تسجيل الشعر والنثر وما يتصل به ويفسره من النقد والاخبار والانساب والفت في الأدب بهذا المعنى الكتب المشهورة وهي (الكامل) للمبرد (ت ٢٨٦ هـ/ ٨٩٩ م) و(البيان والتبيين) للجاحظ (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٩ م) و(طبقات فحول الشعراء) لابن سلام (ت٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م) و(الشعر والشعراء) لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ/ ٨٩٩ م) و (طبقات الشعراء) لابن المعتز (ت٢٩٦هـ/ ٩٠٨ م) وإن كانت عملية تاريخ الأدب أبعد من ذلك بكثير الا انها كانت على مستوى الرواية الشفوية. وبسبب هذه الرواية فان كثيراً من الأدب قد ضاع لان الفترة التي تفصل بينه وبين تسجيله ليست بالقصيرة كان العامل الديني أولا وندرة أدوات الكتابة ثانيا أهم سببين في انعدام التأريخ لها مبكراً و لقد أصاب الشعر بخاصة في الفاصلة الزمنية هذه الكثير من (النحل) و (الانتحال) كما هو معروف الذي فتح الباب واسعاً للشك في الشعر الجاهلي. كما كان له الاثر الكبير في تعدد الاراء اللغوية والنحوية واستنادها الى نصوص تفتقر الى السلامة العلمية والتواتر اما. النثر فقد لحق به أفدح الضرر فضاع أكثره وتشوه بعضه بسبب طبيعته التي تصعب على الحفظ والنقل الشفوي وبسبب نظرة العرب الخاصة الى النثر الذي يرون فيه فناً اقل قيمة من الشعر فلم يهتموا بتدوينه اهتمامهم بتدوين الشعر. وهو أحد عوامل القصور والتقصير الخطيرة في تاريخ الأدب العربي الذي اقصر النظر على

---

[٦] نوري القيسي وصاحباه، تاريخ الأدب العربي قبل الأسلام، ص ٢٥.

الشعر وحده. ((والشعر العربي ليس له من الدلالة في نمو الثقافة الإنسانية مثل ما لتأثير العلماء الكاتبين بالعربية من دلالة في بناء صرح العلم))[٧].

(٣)

إن تاريخ الآداب علم جديد[٨] في بلاد الشرق لم يسبق اليه علماؤنا اللهم الا في نبذ وجيزة وردت مبعثرة في كتبهم دون ان يستقصوا فيها بدقة النظر والانتقاد وسبب ذلك حال علم التاريخ عند العرب فأنهم لم يتقنوه قدر ما اتقنه اليونان والرومان منذ القرن الخامس عشر الميلادي بل اقتصر اكثرهم على تفصيل ذكر الوقائع والحوادث سنة سنة بدون البحث عن الأسباب والأحوال الاجتماعية، وعن ارتباط الوقائع ببعضها ونتائجها.

وان اكثر من كتب في التاريخ مثل ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢ م) وابن الاثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢ م) وابي الفداء الحموي(ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١ م) وابن الوردي (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨ م) لم يسلكوا في تصانيفهم غير هذا السلوك. فلم يتأملوا تأثير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الحوادث السياسية. ومن اغرب الغرائب ان ابن خلدون الذي أوضح في (مقدمته) قواعد علم التاريخ الصحيحة انصرف عن أصوله تلك لما صنف سائر الاجزاء في تاريخ الأمم واتبع فيه طريقة لا تفوق الأقدمين قدراً جزيلا[٩]. وفي تاريخ الأداب لم يؤلفوا الا كتبا تتضمن التراجم المفردة المرتبة على حروف الهجاء أو على الطبقات دون

---

[٧] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج١١ ص ٣-٤.

[٨] قال جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية " ان تاريخ الأدب بشكله الحالي علم حديث النشأة ابتدعه الإيطاليون في القرن الثامن عشر وان أول من نقله حسن توفيق العدل اثر عودته من ألمانيا وقيامه بتدريسه في دار العلوم. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج١ ص ٨ هامش ١.

[٩] نالينو، تاريخ آداب اللغة العربية، ص٥٦-٥٧.

التعمق في البحث عن اصل كل جنس من الفنون الأدبية وعن كيفية نموه وانحطاطه وعن تأثير الأدباء بعضهم في بعض فأكثروا في رواية اخبار أفراد الشعراء واقصروا عن بيان تقلب أساليب الشعر وأغراضه بتقلب الهيئة الاجتماعية وتمادى العصور[١٠]. واغلب هذه الكتب قد نظرت الى الاديب المترجم له بمعزل عن معاصريه أو سابقيه وهى غالباً حبات لا سلك ينظمها، وحين تتعرض لسيرة حياته لا تقدم القدر الواضح منها، وتغفل الحديث عن طفولته ونشأته ومصادر ثقافته.

(٤)

ومن ابرز الكتب القديمة هذه التي ارخت للادب العربي بدلالتيه الخاصة والعامة أو بغلبة الدلالة الأولى. وقد عددتها من كتب التاريخ الأدبي لغلبة التدوين والوصف عليها وها هي مرتبة بحسب وفيات أصحابها:-

١.طبقات الشعراء أو (فحول الشعراء)	لابن سلام	ت٢٣٢هـ/ ٨٤٦ م
٢.الشعر والشعراء	لابن قتيبة	ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩ م
٣.طبقات الشعراء المحدثية	لابن المعتز	قتل ٢٩٦هـ/٩٠٨ م
٤.العقد الفريد	لابن عبدربه	ت٣٢٨هـ/٩٣٩ م
٥.الأغاني	لابي الفرج الاصفهاني	ت٣٥٦هـ/٩٦٧ م
٦.الامالي	لابي علي القالي	ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧ م
٧.معجم الشعراء	للمرزباني	ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤ م
٨.الموشح	نفسه	
٩.يتيمة الدهر	لأبي منصور الثعالبي	ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧ م
١٠.تتمة اليتيمة	نفسه	
١١.أمالي المرتضى	للشريف المرتضى	ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤ م

---

[١٠] المرجع السابق ص٥٧.

١٢.دمية القصر	للباخرزي	ت ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤ م
١٣.قلائد العقيان	للفتح بن خاقان	ت ٥٢٨هـ /١١٣٣ م
١٤.الذخيرة	لابن بسام	ت ٥٤٢هـ/١١٤٧ م
١٥.الانساب	للسمعاني	ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م
١٦.نزهة الالبا في طبقات الأدباء	لابن الانباري	ت ٥٧٧هـ/١١٨١ م
١٧.الصلة	لابن بشكوال الأندلسي	ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢ م
١٨.خريدة القصر	لعماد الدين الاصبهاني	ت ٥٩٧هـ/١٢٠١ م
١٩.المنتظم في اخبار الأمم	لابن الجوزي	ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١ م
٢٠.الف باء	للبلوي	ت٦٠٤ هـ/ ١٢٠٨ م
٢١.معجم الأدباء (ارشاد الاريب)	لياقوت الحموي	ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩ م
٢٢.الكامل في التاريخ	لابن الاثير	ت٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م
٢٣.إنباه الرواة على انباه النحاة	للقفطي	ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨ م
٢٤.تاريخ الحكماء	للقفطي	ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨ م
٢٥.مرآة الزمان في تاريخ الاعيان	سبط بن الجوزي	ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦ م
٢٦.التكملة (تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال)	لابن الابار الأندلسي	ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م
٢٧.المغرب في حلى المغرب(اندلسي)	آخرهم ابو الحسن علي بن موسى بن حمد بن عبد الملك بن سعيد	ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤ م
٢٨.وفيات الأعيان	لأبن خلكان	ت٦٨١ هـ/١٢٨٢ م
٢٩.مسالك الأبصار	لأبن فضل الله العمري	ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨ م
٣٠.تتمة المختصر (تتمة لكتاب المختصر لأبي الفداء ت٧٣٢هـ)	لأبن الوردي	ت ٧٤٩هـ /١٣٤٨ م
٣١.الوافي بالوفيات	للصفدي	ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٣ م
٣٢.فوات الوفيات	لأبن شاكر الكتبي	ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٣ م
٣٣.مرآة الجنان	لليافعي	ت ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٦ م
٣٤.البداية والنهاية	لأبن كثير	ت ٨١٥ هـ/ ١٤١٢ م
٣٥.روضة المناظر	لأبن الشحنة	ت ٨١٥ هـ/ ١٤١٢ م

٣٦.صبح الأعشى	للقلقشندي	ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م
٣٧.ثمرات الأوراق	لأبن حجة	ت ٨٣٧ هـ/ ١٤٣٣ م
٣٨.لسان الميزان	لأبن حجر	ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م
٣٩.عقد الجمان	للعيني	ت ٨٥٥ هـ/١٤٥١ م
٤٠.النجوم الزاهرة	لأبن تغري بردي	ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م
٤١.بغية الوعاة	للسيوطي	ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م
٤٢.معاهد التنصيص	للعباسي	ت ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦ م
٤٣.النور السافر في اخبار القرن العاشر	للعيدروسي	ت ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨ م
٤٤.نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب	للمقّري	ت ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م
٤٥.شذرات الذهب لأبن العماد	الحنبلي	ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨ م
٤٦.نزهة الجليس	للعباس المكي	ت القرن ١٢/١٧٨٦ م

(٥)

وكتب التأريخ الأدبي وكتب النقد كالموازنة للآمـدي (ت ٣٧٠ هـ/٩٨٠ م) والوساطة للجرجاني (ت ٣٦٦ هـ/ ٩٧٦ م) أو غيرهما من كتب الأدب صـدرت عن اصلين أثنين[١١] :- في الغالب.

١-انها تنظر النظرة الجزئية فهي تدرس الشاعر أو الكاتب وحده. وهي تـدرس هذا الشاعر في إحدى قصائده. وقد تحكم له أو عليه من اجل بيت واحد أو شطر واحد. وتلك النظرة الجزئية تسري في دراسة الأديب فلا تقدم خلاصة كاملة أو فكرة موجزة فلا بد من جمعها وتبويبها وسبر اغوارها عند الحصول على القدر المتوافر منها.

[١١] شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية، ص١٢-١٣.

٢–وهي في أكثرها قاصرة الدلالة قريبة النظرة ضيقة النطاق تتحدث عن الأدب الذي قيل في مدح الملوك ووصف حياتهم وقصورهم وما يرغبون في قوله.

ونجد مثل تلك الأحكام الجزئية السائدة عن النثر العربي أيضاً كقولهم[١٢]: ان النثر الفني بُديء بعبد الحميد (١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م) وختم بابن العميد (ت ٣٦٠ هـ/ ٩٧١ م) متجاهلين النثر الذي سبق الأول كخطب الأمام علي وعمر بن الخطاب مثلاً. والقران يقف في الذروة من ذلك. ومتجاهلين - أيضاً - من جاء بعد ابن العميد كالحريري (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٧ م) وابن حزم (ت ٤٣٨ هـ/ ١٠٤٦ م) والقاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ/ ١٢٠٠ م) وهذا لا يكون إلا عند التسليم جدلاً أن تختم القدرات البشرية وامكانات الخلق ثم الجهود في رفض العبقريات التي يمكن أن تتفوق على سابقتها.

كما ان من الخطر أن نؤرخ للأدب العربي بالاعتماد على كتب الفكاهات والنوادر التي جمعت من رواد السوامر ومضحكي الأمراء وأحلاس الأندية واعتبار مثل هذه الكتب مصادر للبحث العلمي، أو لتشكيل صورة المجتمع والحياة الأدبية في عصر من العصور[١٣] كالذي نقرأ من تعميم د. طه حسين[١٤] حين أطلق على القرن الثاني للهجرة بأنه قرن فساد ومجون اعتماداً على جمعه لأشعار ابي نواس وبشار والحسين بن الضحاك غافلا العشرات من العلماء والفقهاء والكتاب كما حفلت تلك الكتب على ما جمعت من أفواه الرواة كثيراً من الأكاذيب والأضاليل ككتاب الأغاني لأبي الفرج.

---

(١٢) ابو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣ ص١٣٧.

(١٣) انور الجندي، الشعوبية في الأدب العربي، ص١٢٨.

(١٤) طه حسين، حديث الأربعاء، ج ٢ ص ٢٢ وما بعدها.

(٦)

ولعل أول من كتب في تاريخ الأدب العربي من القدماء فيما يتعلق بالمؤلفين ومؤلفاتهم إبن النديم (ت ٣٧٧ هـ/٩٨٧ م) في كتاب (الفهرست) وهو يشتمل على آداب اللغة العربية من أول عهدها الى ذلك العصر مرتبة حسب الموضوعات. ولم يقتصر على آداب العرب الأصلية لكنه تضمن ما احدثوه من العلوم الإسلامية واللسانية، أو مانقلوه عن اللغات الأخرى ولولاه لضاعت اسماء كثير من الكتب النفيسة[١٥] ومنها كتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة)[١٦] ويعرف بـ (موضوعات العلوم) لطاشكبري زاده (ت ٩٦٨ هـ/ ١٥٦١ م) رتبه حسب الموضوعات وذكر فيه (١٥٠) فنا[١٧] ويليه كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) لملا كاتب جلبي (ت ١٠٦٧ هـ/١٦٥٧م) وهو معجم مرتب على الحروف الأبجدية حسب أسماء الكتب وبلغ ماحواه منها نحو ١٥،٠٠٠ كتاباً مع اسماء أصحابها ووفياتهم وتواريخ أهم العلوم[١٨] وكتاب (ابجد العلوم)[١٩] لصديق القنوجي وهو كتاب ضخم عول فيه صاحبه على من تقدمه ورتبه على الموضوعات[٢٠].

---

[١٥] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية. ج١ ص ٩.

[١٦] طبع هذا الكتاب عدة طبعات أهمها طبعة ليبزك ولندن(١٢٥١ هـ-١٢٧٤ هـ) (١٨٣٥م -١٨٥٨م) في سبعة مجلدات انظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج١ ص ٩.

[١٧] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج١ ص ٩.

[١٨] المرجع السابق، ج١ ص ٩.

[١٩] طبع هذا الكتاب على الحجر في الهند سنة ١٢٩٦ هـ/ ١٨٧٩ م في ثلاثة مجلدات كبيرة، انظر جرجي زيدان، ج١ ص ٩.

[٢٠] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج١ ص ١٠.

(٧)

مناهج الدراسة الأدبية في العصر الحديث:

المنهج السياسي:

يعد هذا المنهج في شكله الموسع الحاضر منهجاً أوربيا له السيادة على تاريخنا الأدبي. ((وكان أول من ميز فيهم الأدب والفنون بالتاريخ هو (باكون)[٢١] مؤسس الفلسفة الحديثة (ت ١٠٣٥ هـ/١٦٢٦م) فقد جعل اقسام التاريخ ثلاثة: التاريخ الديني وتاريخ الاجتماع وتاريخ الأدب والفنون غير أن جذور هذا المنهج موجودة في تاريخنا الأدبي القديم وليس أوربيًا صرفا كما توهم الأستاذ المرحوم الرافعي في كتابه (تاريخ اداب العرب)[٢٢] إذ يروي أبن مناذر (ت ١٩٨ هـ/ ٧٨٥م) أنه كان يقول لأبي عبيدة[٢٣] ((اتق الله وأحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد ولاتقل ذاك جاهلي وهذا عباسي وهذا قديم وهذا محدث فتحكم بين العصرين ولكن أحكم بين الشعرين ودع العصبية)).

وذكر ابن المعتز (المقتول ٢٩٦ هـ/ ٩٠٩ م) هذا التقسيم - ضمنا - في

---

(٢١) الرافعي، تاريخ اداب العرب، ج١ ص ٧.

(٢٢) المرجع نفسه، ج١ ص ٧.

(٢٣) ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني. تحقيق احمد عبد الستار فراج. ط٣ دار الثقافة. بيروت ١٩٧٥م ج١٨ ص ١٨. إلا ان ابن المعتز يروي كلام ابن مناذر على الشكل الآتي: " قال لأبي عبيدة احكم بين القصيدتين واتق الله ولا تقل ذاك متقادم الزمان وهذا محدث متأخر ولكن انظر الى الشعر واحكم لأفصحهما واجودهما" انظر ابن المعتز طبقات الشعراء، ص١٢٢. ورواية ابن المعتز - كما يبدو لي - هي الراجحة لأسباب ثلاثة: الأولى لقرب عهد ابن المعتز بأبن مناذر فالأول (ت ٢٩٦ هـ/ ٩٠٨ م) والسبب الثاني: صعوبة تصديق رواية ابي الفرج لاستخدامها مصطلح (عباسي) و(عصرين) في وقت متقدم هو منتصف القرن الثاني للهجرة. اما السبب الثالث: فكون طبقات ابن المعتز أوثق من (أغاني) ابي الفرج لأسباب معروفة تتعلق بطبيعة وحجم الكتابين كما تتعلق بشخصي مؤلفيهما.

موضوع اطرائه على أبي نواس من انه كان يحفظ قصائد الجاهليين والمخضرمين والامويين[٢٤] ونقرأ في (عمدة) أبن رشيق (ت٤٥٦ هـ/ ١٠٦٤ م) تقسيمه التاريخ الشعري حتى عصره على النحو الآتي[٢٥] :

١ – جاهلي قديم.

٢ – مخضرم (وهو الذي ادرك الجاهلية والإسلام).

٣ – إسلامي.

٤ – محدث.

ثم يقول: وصار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدريج وهكذا في الهبوط الى وقتنا هذا. والآمدي (ت ٣٧٠ هـ/٩٨٠ م) في (موازنته) يقول عن ثقافة ابي تمام[٢٦] : ((ما فاته كبير شئ من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا قرأه وطالع فيه)).

(٨)

وفي العصر الحديث كانت أول محاولة لتاريخ الأدب العربي وفق التقسيم السياسي على يد يوسف هامر بورجستال (J.VON - HAMMER PUGSTALL) في كتاب نشره في فينا سنة (١٢٦٦ هـ/١٨٥٠م). بيد أن أهم مصادر تاريخ الأدب لم تكن قد عرفت بعد في زمانه، كما أنه لم يكن على علم كاف بالعربية. ولذلك لم يمكن الانتفاع بكتابه اليوم على سعته وضخامته إلا بحذر كبير[٢٧].

ومثل ذلك يقال عن كتاب أرتبنوت (ARTPNOT) المتسم بالايجاز المخل

---

[٢٤] ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص٢٠١.

[٢٥] ابن رشيق، الموازنة، ج١ ص ١١٣.

[٢٦] الآمدي، الموازنة، ج١ ص ٥٩.

[٢٧] انظر في هذا الكتاب والكتب الأوربية التالية له انظر ترجمة عبد الحليم النجار، تاريخ بروكلمان، ج١ ص ٣٢ وما بعدها.

ذي نشر عام (١٣٠٧ هـ/ ١٨٩٠ م). وفي المدة بين الكتابين السابقين صنف مستشرق النمساوي الفريد فون كريمر (A.VON KRMER) كتابه عن تاريخ عمران المشرق في عصر الخلفاء نشره سنة (١٢٩٤ هـ /١٨٧٧م) في فينا وكان ه أثر قوي في توجيه بروكلمان (CARL BROCKELMEN) وتنوير جوانب لموضوع الذي تعرض له. وكان بروكلمان[٢٨] قد نشر (ط ١) من كتابه (تاريخ لأدب العربي) في مدينة فليمر بالمانيا سنة (١٣١٦ هـ/١٨٩٨م). ولكن كتاب بروكلمان سبق بكتاب (تاريخ العرب وآدابهم) من تأليف أدوار فانديك (EDWARD VAN DYCK) وفيليبدس قسطنطين (ELLEBEDS CASTENTIN) الذي طبع في بولاق سنة (١٣٠٩ هـ /١٨٩٢م) ولكنه كتاب تعليمي لايقدم الا نظرة عابرة في تاريخ أدب العرب وثقافتهم. ومنذ ظهور كتاب بروكلمان اخذت كتب الأدب العربي تصدر تباعا في الشرق والغرب[٢٩].

فألف هوار (CL UART.) الفرنسي و بيتسي (J. PIZZI) الايطالي كتابيهما بعد ظهور (ج١) من كتاب بروكلمان واستندا عليه ثم وضع دي جويه (M.J.DEGOJE) كتاباً في ذلك ثم نيكلسون (R. NJCHOLSON) واقتفى أثره آدم متز (A.MEZ) بنظراته الشاملة في تناول العصر العباسي[٣٠]، ضمن كتابه المعروف (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري).

(٩)

ثم ألف بعد ذلك الباحثون العرب كتبا في تاريخ الأدب العربي يقصد

---

[٢٨] لعل بروكلمان أهم من أرخوا لأدبنا بالمعنى العام. شوقي ضيف، العصر الجاهلي ص١١.

[٢٩] كارل بركلمان، تاريخ الأدب العربي ج١، كلمة المترجم.

[٣٠] المرجع السابق، ج١، ص ٣٢ -٣٣.

أكثرها الى أغراض تعليمية وفق التقسيم السياسي مقلدين فيها كتب المستشرقين السالفة اعرض لأهمها بحسب ترتيبها التاريخي وبحسب طبعتها الأولى في الجدول الآتي[٣١] :

	اسم الكتاب	المؤلف	عدد الاجزاء	سنة الطبع	البلد	الملاحظات
١	تاريخ آداب اللغة العربية	محمد دياب بك	٢	١٨٩٩ م ١٣١٧هـ	مصر	–
٢	أدبيات اللغة العربية	محمد عاطف بركات	٢	١٩٠٦ م ١٣٢٤هـ	مصر	اشترك مع المؤلف جماعة
٣	أدب الإسلام	صالح بك حمدي	–	١٩٠٧ م ١٣٢٥هـ	مصر	–
٤	أدب اللغة العربية	محمد حسن نائل المرصفي	–	١٩٠٨ م ١٣٢٦هـ	مصر	أهمل عصر النهضة (انظر مناهج الدراسة الأدبية ٢٠ شكري فيصل)
٥	تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية	حنفي بك ناصف	٢	١٩١٠ م ١٣٢٨هـ	مصر	–
٦	تاريخ أدب اللغة العربية	الشيخ عبدالله دراز	–	١٩١٠ م ١٣٢٨هـ	مصر	أهمل عصر النهضة
٧	الشذرات السنية في تاريخ اللغة العربية	محمد علي الميناوي	–	١٩١١ م ١٣٢٩هـ	مصر	–
٨	تاريخ آداب اللغة العربية	جرجي زيدان	٣	١٩١١ م ١٣٢٩هـ	مصر	ادعى جرجي زيدان أنه أول من ألف في تاريخ الأدب

---

[٣١] المرجع نفسه ص ٣٣ وما بعدها.

					.	العربي وأنه أول من سمى هذا العلم بهذا الأسم بدعوتـه أنـه نشر فصولا من كتابه هذا أول مرة في مجلة الهلال (٩) س٢ ١٨٩٤ م (١: ١٠) الا أن الرافعي قد سبقه الى ذلك فقد طبع كتابه عام ١٨٩٣ م وليس في مقالات صحفية (انظر ١: ٣٣ تاريخ بروكلمان).
٩	تاريخ آداب العرب	للرافعي	٣	١٩١١ م ١٣٢٩هـ	مصر	صدر بعد كتاب جرجي بشهر أو شهرين وهو تأخر طباعي ينظر تصدير سعيد العريان لكتاب الرافعي ١/ زمط الاستقامة ط٢ سنة ١٩٤٠م.
١٠	المنتخب في تاريخ آداب العرب	محمد عطية الدمشقي	-	١٩١٣ م ١٣٣١هـ	مصر	-
١١	تاريخ الآداب العربية منذ نشأتها الى ايامنا	أحد أخوة مدارس الفرير	-	١٩١٤ م ١٣٣٢هـ	مصر	-
١٢	الوسيط في الأدب العربي وتاريخه	أحمد الاسكندر ومصطفى عناني	-	١٩١٩ م ١٣٣٧هـ	مصر	-
١٣	الخلاصة الأدبية في تاريخ الآداب المصرية	حمدان مصطفى	-	١٩٢٤ م ١٣٤٢هـ	مصر	-
١٤	المذكرات الحامدية في تاريخ آداب اللغة	علي حامد	-	١٩٢٥ م ١٣٤٣هـ	مصر	-

	العربية					
١٥	معجم المصنفين	محمود التونكي	٤	١٩٢٥ م ١٣٤٣هـ	بيروت	–
١٦	تاريخ الأدب العربي	أحمد حسن الزيات	–	١٩٢٥ م ١٣٤٣هـ	مصر	–
١٧	المنتخب في تاريخ آداب العرب	مصطفى بدرالدين الحنفي	–	١٩٢٥ م ١٣٤٣هـ	مصر	–
١٨	مجمل في تاريخ الأدب العربي	محمد بهجت الأثري	–	١٩٢٩ م ١٣٤٧هـ	مصر	–
١٩	فجر الأسلام	أحمد أمين	٣	١٩٢٨ م	مصر	مباحث في الحياة السياسية والعقلية والادبية في صدر الإسلام الى آخر الدولة الاموية
٢٠	ضحى الإسلام	أحمد أمين	٣	١٩٣٣ م ١٣٥٢هـ	مصر	مباحث في الحياة السياسية والعقلية في العصر العباسي الأول.
٢١	دروس في تاريخ آداب اللغة العربية	معروف الرصافي	–	١٩٢٨ م ١٣٤٦هـ	بغداد	–
٢٢	المجمل في تاريخ الأدب العربي	طه حسين وجماعة	–	١٩٢٩ م ١٣٤٧هـ	مصر	قرر في السنة الثالثة بالمدارس الثانوية المصرية.
٢٣	المفصل في تاريخ الأدب العربي	طه حسين وجماعة	٢	١٩٣٤ م ١٣٥٣هـ	مصر	–
٢٤	الأداب العربية وتاريخها	جرجس كنعان	–	١٩٣٦ م ١٣٥٥هـ	بيروت	–

٢٥	تاريخ الأدب العربي في مصر من العهد الفاطمي الى العصر الحاضر	محمد أمين النواوي	-	١٩٣٨ م ١٣٥٧هـ	مصر	-
٢٦	ظهر الأسلام	أحمد أمين	٤	١٩٤٥ م ١٣٦٤هـ	مصر	بحث في الحياة الأجتماعية والعقلية والأدبية في العصر العباسي الثاني.

(١٠)

ثم ظهرت بعد ذلك كتب أخرى في تأريخ الأدب العربي منها كتاب الفاخوري الموسوم بـ(الجديد في تأريخ الأدب العربي) وكتاب الأستاذ الدكتور ابراهيم أبو الخشب (تأريخ الأدب العربي ج٥) وكتاب الأستاذ الدكتور شوقي ضيف (تاريخ الأدب العربي ج٥) الذي انتهى حتى نهاية العصر العباسي سنة (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م) الذي سماه (عصر الدول والأمارات) في ج٥.

وقد احتذت كتب التأريخ الأدبي تلك التقسيم السياسي معتمدة هذا المنهج الذي أخضع التاريخ الأدبي الى التاريخ السياسي ملتزمة التأريخ للأدب بمعناه العام فأرخت الحياة العقلية والسياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية الى جانب تأريخها للأدب بمعناه الخاص من شعر ونثر فني ((فوقفت في تقسيم الأدب عند المعنى اللغوي للتأريخ بأنه التوقيت فوقت الأدب بهذه الأحداث الضخمة وربطت بينها وبين دراسته ربطاً محكماً))[٣٢]. ((وربما كانت نظرية التقسيم السياسي في بذرتها الأولى لا تريد هذه التبعية ولكنها تقصد الى نوع من الصلة والى شي من تسهيل الدراسة ولكنها حين مضت مع الزمن فاستوت واستحكمت واستغلظت على سوقها أصابها كل ما يصيب النظريات إذ تدخل في طورها

---

[٣٢] شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية، ص٢١.

المدرسي والتقليدي من جمود وتزمت[٣٣])).

ولعل أهم من أرخوا للأدب بمعناه العام بروكلمان في كتابه (تأريخ الأدب العربي) فقد حوى هذا الكتاب مادة غنية أحصى فيها إحصاء دقيقاً الأدباء. والفلاسفة مع ذكر أثارهم المطبوعة والمخطوطة وما كتب عنهم قديماً وحديثاً مبينا مناهجهم من الفن أو العلم الذي حذقوه مع نبذة عن كل فن وعلم ومدى ما حدث له من تطور ورقي[٣٤].

(١١)

انه لمن الحق أن يؤرخ للأدب العربي وفق المفهوم العام للأدب لأن ذلك ضرورة تفرضها طبيعة هذا الأدب ومسيرته وحياته فقد أثرت فيه ثقافات ومذاهب وفلسفات وطوائف كثيرة وكتبت بلغته قوميات عديدة حملت معها - بقصد أو بغير قصد - تراكمها التأريخي بخيره وشره[٣٥].((لذا وجبت العناية في دراسة الأدب (العام) وفي تأريخه بشرح التيارات المتماثلة في البلاد المختلفة وبيان أسبابها فقد تكون تلك التيارات ناتجة عن حالة اجتماعية متماثلة أدت الى ظهورها في تلك البلاد في وقت ما دون أن يكون هناك تأثير خاص لأدب بعينه. وقد تكون وليدة صلات فكرية بين الأداب[٣٦])).

---

[٣٣] المرجع السابق ص ٢٣.

[٣٤] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص١١.

[٣٥] ويأمل الداعون إلى دراسة الأدب العام أن تثمر الجهود فيه بحيث يخرج إلى حيز الوجود تاريخ عام للأدب العالمي تشرح فيه الحقائق العامة ويكشف فيه عن التيارات العالمية ويكون مرجعاً شافياً لمن يريد استقصاء الحقائق والتعرف على اصول الأجناس الأدبية وتطورها ويأملون أيضاً ان يتم للباحثين في تاريخ الأدب ما سبق ان تحقق للفلسفة والعلم من تبعية تاريخ الأدب الخاصة للتاريخ العام للأدب جميعا.

محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص٤١٦.

[٣٦] المرجع نفسه، ص٤١٥.

وقد انفرد (بروكلمان) - فيما أعلم - بتقسيمه العصور الأدبية نتيجة اعتقاده بأن الأسلام لم يؤثر تأثيراً عميقا في الشعراء العرب. ويرى أن شعراء العصر الأموي قد سلكوا في مسالك أسلافهم الجاهليين لاعتقاده أن روح الأسلام لم تسد حقاً الا بعد ظهور العباسيين ولهذا نما في عهد العباسيين أدب إسلامي بلسان عربي. فقسم التأريخ الأدبي الى مرحلتين أساسيتين[٣٧] :

أدب الأمة العربية من اوليته الى سقوط الأمويين سنة (١٣٢ هـ/٧٤٩ م) ولكنه عاد وقسم هذه المرحلة الى الأقسام الآتية:

(أ) الأدب العربي إلى ظهور الإسلام.

(ب) محمد (ص) وعصره[٣٨].

(ت) عصر الدولة الأموية.

٢ – الأدب الإسلامي باللغة العربية

ويعتقد (بروكلمان)[٣٩] أن الازدهار الحقيقي للأدب العربي لم يكد يستمر ثلاثة قرون إذ لقيت الثروة المادية والحياة العقلية اضمحلالاً سريع التدهور مع ذهاب الوحدة السياسية للدولة العباسية. إلا انه يستدرك قائلا: أن ازدهارا متأخرا دام ثلاثة قرون حصل بعد ذلك. ولكن عواصف المغول حطمت ذلك الازدهار تحطيماً اخيرا إلا انه يعتقد ان الأدب العربي لم يمت في غمرة هذه العواصف ولكنه جمد منذ ذلك التاريخ على مناهج ثابتة. وبمقتضى ذلك يقسم بروكلمان تاريخ الأدب الإسلامي الى خمسة أعصر[٤٠].

أ– عصر ازدهار الاداب في عهد العباسيين بالعراق منذ حوالي (١٣٢–٣٩٠

---

[٣٧] بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ١ ص ٣٧.

[٣٨] ربما اراد عصر الراشدين أيضاً لانه لم يذكرهم وهو هنا لم يقل صدر الأسلام بل ذكر شخص النبي .... فماذا يعني؟!.

[٣٩] بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج١ ص ٣٧.

[٤٠] المرجع السابق ج١ ص٣٧ –٣٨.

هـ/٧٥٠ - ١٠٠٠م) تقريباً.

ب- عصر الازدهار المتأخر للأدب منذ سنة (٣٩٠ هـ /١٠٠٠م) تقريباً الى سقوط بغداد على يد هولاكو (٦٥٦ هـ /١٢٥٨ م) أي سنة (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م).

ت- عصر الأدب العربي منذ سيادة المغول الى فتح مصر على يد السلطان سليم سنة(٩٢٣ هـ/١٥١٧م).

ث- عصر الأدب العربي من سنة (٩٢٣ هـ/ ١٥١٧م) حتى أواسط القرن التاسع عشر.

ج- الأدب العربي الحديث.

إلا أنه لم يذكر متى يبدأ العصر الحديث غير أن التقسيم المعروف يقول انه يبدأ باستيلاء محمد علي باشا على الحكم[٤١] في مصر عام (١٢٢٠ هـ /١٨٠٥م) وقد سبق هذا ما يسمونه بـ(عصر النهضة)[٤٢] والعصر الحديث يمتد حتى ايامنا هذه حيث شاعت العلوم الأوربية في كثير من بلاد الشرق فانتشر فن الطباعة في الشام ومصر وغيرهما كما ذاعت الجرائد والمجلات بالمعارف والاخبار[٤٣]. غير ان تقسيم بروكلمان كغيره من كتب التاريخ الأدبي الحديثة إلا في تمييزه بين المرحلتين الأساسيتين المذكورتين اللتين رآهما في حياة الأدب العربي. وهو الرأي الذي احتذاه د. طه حسين دون أن يشير إلى مصدره إلا انه

---

(٤١) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص ٩.

(٤٢) المرجع السابق ص٩.

وهي مدة الاحتلال الفرنسي لمصر منذ دخول نابليون عام (١٧٩٨م) وكأن الاحتلال الفرنسي هو المقدمة لكل نهضة في الوطن العربي وكأنما العرب لم يستيقظوا حتى جاء نابليون ليوقظهم. والمعروف ان تلك المدة قد شهدت إرساليات تبشيرية واسعة، انظر: انور الجندي، الشعوبية في الأدب العربي، ص١٢٢.

(٤٣) نالينو، تاريخ اداب اللغة العربية، ص ٦٠.

شرحه وضرب له بعض الأمثلة قال(٤٤) ((أن العصر الجاهلي يلتقي بالعصر الإسلامي وأن الجاهلي استمر إلى وقت ما حتى بعد ظهور الإسلام ويرجع ذلك إلى أن الأمم لا تتطور تطورا مفاجئاً وسريعا ولكن انتقالها من طور الى طور يحتاج الى وقت طويل والى صراع بين القديم والجديد. وان الإسلام في صدره الأول لم ينشر في كل ارجاء الجزيرة العربية والبلاد الأخرى ليكون هذا فاصلا بين عصر وعصر آخر بل احتاج الى وقت طويل ليمتد الى رقعة واسعة تؤثر في لغة العرب وأفكارهم)) ولكن تقسيم العصور الأدبية الى أدب (جاهلي) وأدب (صدر الإسلام) اقرب الى الصواب واكثر واقعية قياساً الى التقسيمات الأخرى.

ويضيف د. طه حسين في بسطه رأي بروكلمان – ودون إشارة الى المصدر – من أن عبارة الأدباء المسلمين في صدر الإسلام الأول لا تنطبق الا على الذين ولدوا بعد الإسلام ونشأوا نشأة جديدة ولا يصح – كما يرى – أن نقول أن هذا العصر ابتدأ بظهور الإسلام بل ظهر بعد ذلك بكثير لأن آثاره ظهرت في الشعراء الذين عاشوا في الإسلام اكثر مما عاشوا قبله.

وان هناك شعراء إسلاميين لم يشهدوا العصر الجاهلي وهم في شعرهم جاهليون كما نلمس في شعر الفرزدق ومن نسج على منواله من شعراء القبائل المتصارعة في عهد الأمويين(٤٥) ويمضي في مطابقته لرأي بروكلمان في الاعتقاد ضمنا باستمرار العصر الأول حتى نهاية عصر الأمويين – عند بسطه لذلك من أن (العصر الأموي) ورغم رسوخ الإسلام ومضي مدة غير قصيرة على ظهوره في حياة العرب كان هذا العصر جاهليا أيضاً لا في البلاد العربية وحدها بل البلاد العربية الجديدة في العراق والشام وشمال أفريقية والأندلس وذلك

---

(٤٤) طه حسين، تاريخ الأدب العربي، ط٢، طبع دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٦هـ/١٣٩٦م، ج٢ ص ٩.

(٤٥) المرجع السابق، ج٢، ص ١٠ –١١.

أن العصبية الجاهلية قد استأنفت قوتها وعصبيتها[٤٦]. ولكن في ذلك مبالغة وتجاهلاً لتأثير الإسلام الكبير في الحياة العربية ولغتها. كما ان تلك الروح الجاهلية وذلك الصراع القبلي لم يكن قد عم ارجاء المسلمين ليوصف بهذا. ولأول مرة في التاريخ يحدثنا المؤرخون أن عمر بن عبد العزيز أوعز بنقل بعض الكتب الطبية الى اللغة العربية وانه أمر بتأليف كتاب في الحديث النبوي وتوزيعه على البلاد الإسلامية[٤٧]. وكان عهده بداية لنهضة علمية وإصلاح سياسي وإداري معروف. وليس شعر جرير والاخطل وعمر بن ابي ربيعه بدليل على جاهلية المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت فقد شهد تيارات سياسية معارضة واتجاهات زهديه واضحة[٤٨]. لرفض ذلك الاعوجاج.

(١٢)

لقد كبّل المقياس السياسي التاريخ الأدبي بقيود القوانين وحاصره بتأثير العامل الواحد. فالمعيار السياسي الذي ندرس العصور الأدبية من خلاله جعل الأدب ظلا للسياسة بفرضها العامل الأوحد في تحديد العصور الأدبية وسماتها الفنية وان من الغلو بل من الخطأ الفادح الاعتقاد أن عاملا واحدا يشكل حقيقة أو ظاهرة حياتية بله الأدب الذي تزدوج فيه بشكل معقد ومتشابك الذاتية والموضوعية أو (العقل) و(الشعور). فالعامل السياسي الذي جعلوه مقياسا للتاريخ الأدبي لم يكن صحيحا عند درس الازدهار الأدبي الذي شهده القرن الرابع الهجري – مثلا – رغم فساد

---

[٤٦] نفسه ج٢ ص ١٠.

[٤٧] صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، الطبعة الحادية عشر، مطبعة دار العلم للملايين ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م، ص ٤٥ – ٤٦.

[٤٨] في الرد على استئناف العصبية الجاهلية في العصر الأموي على المستوى الاجتماعي العام، وتفنيد ذلك الزعم. انظر شوقي ضيف، التطور والتجدد في الشعر الاموي، ص ٥٥ وما بعدها.

الحياة السياسية في ذلك القرن. فالسياسة ليست الا عاملا واحداً من عوامل التأثير وليست كل العوامل. ((بل لا ينبغي ان يتخذ أي عامل مقياسا للحياة الأدبيـة. انمـا ينبغي ان يدرس الأدب لنفسه وفي نفسه من حيث هو ظـاهرة مستقلة يمكـن ان تؤخذ من حيث هي وتحدد لها عصورها الأدبيـة الخالصـة[٤٩])) فـي ظـل حريـة رأي كالتي تتمتع بها العلوم الصرفة أو الطبيعية وان محاربة الرأي المنحـرف أو الرد على الرأي المغلوط لا يكـون بالسـلاح الإداري أو القضـائي وأنمـا بالسـلاح العلمي الأدبي الخالص بإقامة الحجة والبرهـان. فليس مـن واجبنـا لإقامـة تـاريخ أدبي وعلمي سليم أن نكرر ما قاله الأقدمون[٥٠].

(١٣)

انه لمن الأثم العلمي أن يسمى الأدب فـي عهد الدولـة الامويـة بـ(الأدب الأموي) أو الأدب الذي نشـأ فـي عهد الدولـة العباسية بـ(الأدب العباسـي) ليبـدأ الخوض بعد ذلك بالحديث عن (السمات الفنيـة) لـلأدب الأمـوي والأدب العباسـي دون اعتبار لشخصية الأدب أو الاديب والمفكـر والفيلسـوف فليس كـل ذلـك فـي نظـر هـذا التقسيم الا تابعـا مـن توابـع هـذه الخلافـة أو تلـك وكــأن الأدب ارض مفتوحة تصبح بعد الفتح تابعة في نظام حكمهـا للدولـة الفاتحـة تعيـن لهـا نظـامهـا السياسي والاقتصادي. وكأن في يد كل خليفة أو أمير عصـا سحرية يضـرب بهـا فيلون الأدب والمعرفة في عصره باللون الذي يريده ثم يعطيه (السمات الفنيـة !) التي تناسب طبيعة حكمه وسياسته. بل لماذا لا تكون السياسة ظـلا لـلأدب العـام. أليس هذا الأدب قد شكل عقلية الساسة والحكام يومـذاك حيـن تعلمـوا علـى أيـدي (المؤدبين) و(العلماء) و(الفلاسفة). وقد كان لهذا الأدب الـدور العظيـم فـي تهيئـة

---

[٤٩] طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص٤٠.

[٥٠] المرجع نفسه، ص٥٧.

الواقع لعملية التغير ضد الأمويين -مثلا - فكان للشعر والخطابة والمناظرة والرسائل وغيرها التي استخدمها العباسيون وأنصارهم أكبر الاثر في انتصارهم على الأمويين ولكنها (حرفة !) الأدب وأهله التي لاتريم عنهم فلم ينل هؤلاء حقهم ولم يعطهم أحد قدرهم إلا في (جمهورية أفلاطون) و(مدينة الفارابي الفاضلة).

وإذا كان ذلك عسيراً أو مستحيلاً! فليس أقل من أن يكون تاريخ الأدب غير تابع في تقسيمه لمرحلة سياسية كغيره من العلوم.

وبسبب هذه التبعية – غير الموضوعية – ظلت في تاريخنا الأدبي العام مناطق لم تصلها الدراسة بسبب إهمال الخلفاء لها أو بعدها عنهم فأصابها الكثير من التعتيم والتشويه والتزوير فبقيت من دون اهتمام على مدى التاريخ في حين أبرز ما هو اقل أهمية منها وصار المقربون من البلاط أو الخلافة (أعلاماً!) وبقي الآخرون ممن لم ينالوا هذا القرب (مغمورين!) وبنيت على ذلك التاريخ التدقيق في حصرها وتحديد وقتها لأنها لا تظهر الا بعد مقدمات (مسلمات!) أدبية وعلمية تتحدث عن طبيعة وسمات مرحلة أدبية استنادا لعدد قليل من الشعراء أو الكتاب كانت مهمتهم اضحاك الخليفة والترفيه عنه أو خدمته دون النظر لحركة المجتمع عموماً. فيبني المؤرخ أو الدارس حكماً على استقراء مشوه أو مبنى على مقدمات فاسدة (والدليل إذا لحق به الاحتمال سقط من الاستدلال).

(١٤)

فالتاريخ للظاهرة الأدبية اشد ما يكون استعصاء على من يريد التدقيق في حصرها وتحديد وقتها لانها لا تظهر الا بعد مقدمات عدة يتوافق بعضها

على مغالبة بعض ومن هذا التوافق والتغالب تنتج الظاهرة الأدبية(٥١).

وحركة الحياة الأدبية وانتقالها من طور الى طور واستبدالها شكلا بشكل كل ذلك يجري خلف ستار لا تخترقه الا بعض أبصار الباحثين المجودين أما الحوادث السياسية تظهر واضحة لكل باحث ولا يخفى إلا ما انبعث عنه من العلل والأسباب فإذا صح للمؤرخ السياسي ان يوقت قيام الدولة العباسية سنة (١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م) فليس يصح للمؤرخ الأدبي ان يجعل هذه السنة مبدأ حياة جديدة للآداب وذلك ان المؤرخ السياسي انما يوقت حادثة ظاهرة لا يقع عليها الحس(٥٢).

فالعوامل التي تؤثر في الأدب كثيرة ومتشابكة فيها الاستعداد الفطري الفردي أو الجماعي وفيها البيئة التي يعيشها الفرد الأديب من حيث طبيعتها الجغرافية وما تمتلكه الأمم من موروث حضاري وما لديها من دين وعادات ثم الحياة السياسية وهي أحد تلك العوامل التي تخضع الناس لنظام بعينه يقوم احياناً على القوة والبطش فينتج ألواناً من الأدب يظهر فيه التملق والخضوع ويقوم احياناً على الحرية فينتج ألواناً من الأدب تظهر فيه الصراحة واستقلال الرأي ومن العوامل الاتصال بين الشعوب المختلفة وما يسببه من تأثير وتأثر تنشأ بسببه فنون من الأداب لم تكن معروفة(٥٣).

فقد كانت الدراسات الأدبية خلال امتدادها الزمني ومعالجتها الموضوعية في كثير من الأحيان قد شاركت الى حد بعيد في دراسة الواقع الاجتماعي والإنساني كما استطاعت تشخيص طبيعة العلاقات وأشكال القيم التي كانت تسود تلك المجتمعات الى جانب تصوير النزعات النفسية(٥٤). بل ساهمت في التغيير

---

(٥١) طه حسين، تجديد ذكرى ابي العلاء، ص ٣٩.

(٥٢) المرجع السابق ص٣٩.

(٥٣) طه حسين وجماعته، التوجيه الأدبي، ص ١١- ١٥.

(٥٤) نوري القيسي وجماعة، تاريخ الأدب العربي قبل الأسلام، ص١٧.

اكبر المساهمة واعدت لتحولات واحداث مهمة في القديم والحديث وليست الثورة الفرنسية ببعيدة عنا فقد كان لأدباء فرنسا دور عظيم في هذه الثورة لا يقل أهمية عن دور قادة الثورة وزعمائها.

(١٥)

لقد كان اعتماد البحث التجريبي وشيوع النظريات العلمية إثر الازدهار العلمي في أوربا قد انعكس على الدراسات الأدبية فاستعان دارسو الأدب ومؤرخوه بالمناهج العلمية المطبقة على العلوم الصرفة بل ان بعضهم قد نقل تلك المناهج نقلاً وطبقها على التاريخ الأدبي فأخضعه الى القوانين الطبيعية. ((فذهب تين (Taine) الى ان الأدب عند كل أمة يخضع الى ثلاثة قوانين هي: الجنس والزمان والمكان وبهذا حول هذا الناقد تاريخ الأدب الى ضرب من التاريخ الطبيعي ولكن هذه المقاييس – وإن كانت مظهراً من مظاهر النقد التي تحدد بعض الملامح الفنية – فأنها تتجاهل شخصيات الأدباء وتقتل مواهبهم وتميت أصالتهم وتضعهم في طبقة واحدة وتحشرهم في دائرة متشابهة وتزيل عنهم الخصائص الفردية التي عرفوا بها))[٥٥].

ودعا برونتيير (Brunetiere) الى إخضاع الأنواع الأدبية الى نظرية النشوء والارتقاء لأن الكائن باعتقاده خاضع لتلك القوانين وبما ان الأدب اثر من ذلك الأنسان فلابد ان يخضع مثله لهذه القوانين[٥٦].

معتقداً ان الفنون الأدبية تتولد من بعضها كما يتولد الكائن الحي. وانه مما لاشك فيه ان الأنواع الأدبية تتطور من عصر الى عصر. وقد يتولد بعضها من بعض فيظهر نوع أدبي جديد لا سابقة له في الظاهر على نحو ما يلاحظ ذلك

---

[٥٥] المرجع السابق ص ٢١.

[٥٦] طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص ٤٥.

من يدرس فن المقامة في العصر العباسي فأنها – كما يبدو– تولدت من فن الارجوزة وما ابتغى به أصحابه في العصر الأموي عند رؤبة ونظرائه من تعليم الناشئة والموالي ألفاظ اللغة العربية وتراكيبها العويصة فاقتران هذه الغاية بالأرجوزة يلفتنا الى الغاية نفسها في المقامة عند بديع الزمان والحريري وما بين الفنين من صلات وروابط(٥٧). وذهب سانت بيف (Sahnte Beuve) الى استنباط القوانين الأدبية وتاريخها من درس شخصيات الأدباء والشعراء درساً نفسياً وعضوياً وترتيبها فيما بينها لانه مقتنع ان هذه الشخصيات مهما تختلف فلابد من أن يكون بينها تشابه ما والا لما استطاع الكتاب والشعراء أن يتفقوا في العناية بفن من النثر أو فن من الشعر(٥٨).

على ان توزيع سانت بيف للأدباء على شكل فصائل اعد لنمو فكرة المدارس الأدبية لأن المدرسة في واقعها مجموعة من الخصائص الأدبية تشترك فيه طائفة أو طوائف من الأدباء. وقد نمت في عصره المدرسة الرومانسية(٥٩).

(١٦)

ولكن تلك الموجة الحادة التي اندفع خلالها مؤرخو الأدب في القرن التاسع عشر التي ارادوا بها إلحاق تاريخ الأدب بالعلوم الطبيعية وتطبيق قواعدها لم تلبث أن هدأت في أوائل القرن العشرين بتأثير نمو (العلوم الإنسانية) فقد أثبتت هذه العلوم أن عالم الإنسان ومشاعره أعمق من أن تخضع للقوانين الطبيعية وأن تاريخ الأدب ينبغي ألا يلحق بالعلوم الطبيعية بل يحاول الاستفادة

---

(٥٧) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص١٣.

(٥٨) طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص٤٣.

(٥٩) شوقي ضيف، البحث الأدبي، ص ٨٧.

منها[٦٠]. وحري بمناهج تاريخ الأدب العربي ألا تظل في حدود الاتجاهات الثلاثة لأن ذلك قد يضع هذا الأدب في إطار تجربة بعيدة عن تجاربه، وقوانين لم يعرفها في مجال تطوره[٦١]. ونظرية التقسيم السياسي لا تصلح لتقسيم العصور الأدبية للأسباب الآتية[٦٢] :

١- التاريخ العربي لم يكتب بعد بالروح التي يجب ان يكتب بها ولم يبتعد عن حاله التي خلفها الرواة وقدماء المؤرخين ولم يستطع أن ينتقل من ان يكون تاريخ أفراد من الخلفاء والأمراء والقادة الى ان يكون تاريخ الأمة العربية والإسلامية في طبقاتها المختلفة واقطارها المتباينة وآمادها الواسعة.

٢- من العبث أن نبدأ الدراسة الأدبية وهي محدثة بربطها الى عجلة التاريخ وفيه هذا النقص الخطير لأن الربط سيطمس بعض الوجوه في الدراسة الأدبية ويلقي ظلالاً من التاريخ تلازمها وهي تفرض في اكثر الأحيان بعض المبادئ على انها مسلمات لانقض لها تنتهي الى تكوين طائفة من (الاحكام العامة) حول كل عصر ومن هذه الاحكام نسجت الاردية التي ألقت بها على الأدب العربي في عصوره المختلفة. في حين ان الصلة بين الدراسة التاريخية والادبية يجب ان تبنى على تعاون حر قائم على تبادل النتائج لا فرضها هذا إذا لم نقل ان الحياة السياسية نتيجة لتطور الحياة الأدبية بمعناها العام وليست سبباً فيه فمن مسلماتهم التي جنوا فيها على الحياة الأدبية – مثلاً – تقسيمهم للعصر العباسي فقد سموا العصر العباسي الأول من الناحية الأدبية بعصر الرقي وانهوه عام (٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م) ليسموا ما بعده بعصر الانحطاط ليجاروا بهذا التقسيم السياسي لضعف الخلفاء بعد ذلك.

وجناية هذا التقسيم واضحة لان هذا الذي يسمونه بعصر الانحطاط قد

---

[٦٠] شوقي ضيف، في النقد الأدبي. ص ٤١.

[٦١] نوري القيسي وجماعة، تاريخ الأدب العربي قبل الأسلام. ص ٢٢ –٢٣.

[٦٢] مناهج الدراسة الأدبية، ص ٣١ وما بعدها بتصرف.

ازدهرت فيه الثقافة ازدهاراً عظيماً ونبغ الكثير من رجالات الفكر واللغة والأحوال فيهم الرضي والمتنبي وأبو العلاء ومن الكتاب ابن عباد والصابي ومن الفلاسفة الفارابي وابن سينا ومن النقاد أبو هلال والامدي والجرجاني ومن النحويين ابن خالويه وابن جني وابو على السيرافي(٦٣) وغيرهم كثير.

٣- التقسيم السياسي أخذ من البيئة الجانب السياسي فقط في نظرية (تين) فلم يكن في هذا التقسيم ككل الأداب وثيق الصلة بالسياسة ولكنه يجاوز ذلك ليكون مطابقاً لها من نحو وتابعاً لها من نحو آخر.

٤- مبدأ التقسيم هذا يؤدي الى الفصل بين العصور والفصل بين الاداب على حين تتداخل العصور وتتشابك الاداب فالدولة العباسية كانت قائمة في أذهان الناس من قبل اعلانها الرسمي.

٥- في نطاق هذا التقسيم بنيت الدراسة الأدبية على أساس زمني ونسي الى حد بعيد الأساس المكاني فغض الطرف عن الفروق الكبيرة بين الاقاليم بما شملته من خصبها وجدبها وقوميتها ودينها والتقسيم الزماني صرفنا أو كاد عن دراسة البيئة وبخاصة في العصر العباسي الذي امتد مدة زمنية طويلة وفي دولة متسعة عريضة توغل حتى الصين وتمتد حتى المحيط الأطلسي. ((فمن الأثم العلمي ان يتخذ أدب دمشق وبغداد مقياساً للأدب العربي في العصور الإسلامية أو بالاكتفاء بدرس الحواضر الإسلامية الكبرى. والأدب العربي - فضلاً عن ذلك - ليس أدب أمة واحدة وانما هو أدب ساهمت فيه أمم مختلفة المذاهب والأجناس والبيئات))(٦٤) ولفظ العرب بمعناه التاريخي واللغوي لا يصدق حقاً على الأمم التي اتسمت به بعد الأسلام لان الاختلاط الجنسي لم يمح الحياة الاجتماعية للأمم كالفرس والهنود والترك والبرابرة في شمال أفريقية. وليس لفظ المسلمين بأقل ضيقاً وقصوراً من لفظ العرب فما كانت

---

(٦٣) طه حسين، تجديد ذكرى ابي العلاء، مرجع سابق ص ٣٨.

(٦٤) أنور الجندي، الشعوبية في الأدب العربي، مرجع سابق ص١٤٧.

تلك الأجيال التي خفق عليها العلم الإسلامي بخالصة الأسلام من دون غيره من الديانات وقد اشترك كل هؤلاء – على تفاوت – في تكوين العلم والأدب والحضارة[٦٥]. ولو عني المتقدمون بالأقطار الإسلامية مثل عنايتهم بالأندلس لكان لهم في الحقل الأدبي خير كثير.

٦– أهمل هذا التقسيم النوازع الفردية عند الأدباء والشعراء والفلاسفة.

٧– هذه النظرية التي كانت مهمتها تقسيم الأدب العربي الى مراحل وعصور فتصفه وتضبط سيره استحال حتى اصبح رغبة (الحكم) بالرقي والانحطاط فهذا – مثلا – عصر ازدهار وهذا العصر عصر تدهور. فانتهت الى إفساد التاريخ الأدبي إذ جعلت من مهمته ان يحكم على حين كان من مهمته ان يصف.

٨– وقفت النظرية هذه بالدراسة الأدبية عند القمم الشامخة في كل عصر واتجهت هذا الاتجاه القاصر نحو هذه الأسماء فإذا هي لا تعنى بالمقلين المجودين.

(١٧)

النظرية الأقليمية

من الطبيعي ان الإحساس الأدبي بالأثر الأقليمي إحساس يشارك فيه الناس جميعاً كل إنسان يحس انه مدين بهذه الحياة المادية الى كل هذا الذي يحيط به من ارض وهواء وماء، ومدين أيضاً. في حياته المعنوية الى ما رآه أو تأثر به[٦٦]. ولعل لمح (الأقليمية) بدأ عند الشعراء قبل ان يبدأ عند النقاد ومؤرخي الأدب. ولعل هؤلاء الشعراء كانوا اكثر استجابة لهذه الحياة التي عاشوها في العصر العباسي حين غرقوا في النعيم وانتشوا من الغناء وسكروا من الخمر ثم

---

[٦٥] طه حسين، تجديد ذكرى ابي العلاء، ص٣٧.

[٦٦] شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية، ص١٦٠.

جاءوا يقولون الشعر فإذا التقاليد الأدبيــة تدفعهـم ان يقفـوا بالديـار ولا ديـار، وأن يبكوا الأطلال ولا اطلال وإذا هذه الثورة تضطرم في نفوسهم فكان لابد للمحدثين ان يؤالفوا بين ما يقولون وبين ما يرون في حياتهم[٦٧] ويبـدو ان ابـا نـواس كـان أول هؤلاء الشعراء الذين وائموا بين فنهم وبيئتهم.

إذ قال[٦٨] :

عاج الشقي على رسم يسائلـــــــــه	وبت اسـأل عن خمـارة البلـــــــــد
يبكـي على طـلل الماضـين من أسد	لادر درك قل لـي من بنـو اســــد
بكيت ومـا ابكـي علـى دمـن قفــــر	وما بي من عشـق فابكي على الهجر[٦٩]
دع الأطـــلال تسـفيها الجنــــوب	وتبكـي عـهد جدتهـا الخطــــــوب[٧٠]
ولا تأخـذ عـن الأعـراب لهـــــواً	ولا عيشـاً فعيشـهم جديـــــــب

وفي شعر ابي نواس كثير من هذا[٧١]

واشهر ابيات ابي نواس – وهو عنـد الحـاتمي افضـل ابتـداء صنعـه شـاعر مـن

---

[٦٧] المرجع السابق ص١٦١.

[٦٨] ابو نواس، الحسن بن هاني (١٩٨هـ/٨١٤م) الديوان، شرح محمود افندي واصف ص ٦٦٦.

[٦٩] المرجع السابق ص ٢٨٩.

[٧٠] نفسه ص ٢٤٤.

[٧١] كقوله:

دع الرسم الذي دثرا	يقاسي الريح والمطرا

(الديوان ص ١٦٤)

دع المعلى يبكي على طلله	وخل عوفا يقول في جمله

(الديوان ص ٣٢١)

لقد حن من يبكي على رسم منزل	ويندب اطلالا عفون بجرول

(الديوان ص ٣١٧)

ياربع شغلك اني عنك في شغل	لاناقتي فيك لو تدري ولاجملي

(الديوان ص ٨٦)

القدماء والمحدثين[72] قوله[73] :

صفة الطلول بلاغة الفدم فاجعل صفاتك لأبنة الكرم

ولولا ان الخليفة حده على اشادته بالخمرة واخذ عليه عهداً الا يذكرها لجرد منها فكان رد الفعل على أمر الخليفة قوله[74] :

أعر شعرك الأطلال والمنزل القفرا فقد طالما أزرى به نعتك الخمرا

دعاني الى نعت الطلول مسلط تضيق ذراعي ان ارد له امرا

فسمعا امير المؤمنين وطاعة وإن كنت قد جشمتني مركبا وعرا

ومن النقاد الأقدمين الذين تنبهوا للنظرية الأقليمية ابن سلام (ت ٢٣٢هـ/ ٨٤٦ م) فكان عمله في كتابة (طبقات فحول الشعراء) أول سبق في التاريخ الأدبي يشير الى الأقليمية ويتحدث عنها في وضوح لا يستند الى التعليل ولكنه يقوم على الإقرار بها وعلى الموضوعات حيناً آخر. فعنده[75] : شعراء القرى العربية شعراء المدينة ومكة والطائف والبحرين ويهود المدينة.

وذكر ابن رشيق[76] عن الجمحي[77] وغيره عن تنقل الشعر بين القبائل من ان الشعر في الجاهلية في ربيعة فكان منهم مهلهل واسمه عدي ثم تحول الشعر في قيس فكان منهم النابغة وزهير وابنه كعب ثم استقر في تميم ومنهم اوس بن حجر.

---

(٧٢) ابن رشيق، العمدة، ج١، ص ٢٣٢.

(٧٣) أبو نواس، الديوان، ص٣٢٣.

(٧٤) المرجع السابق ص ٢٨٢.

(٧٥) ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ص ٥٣ و٥٧ و٦٥ و ٦٩.

(٧٦) ابن رشيق، العمدة، ج١ ص ٨٦ وما بعدها.

(٧٧) ولعله يريد تأثير الوراثة – في تلقي الموهبة الشعرية وانتقالها بالتزاوج أو بقائها في بيت واحد عند قصر التزاوج في عائلة معينة والوراثة الشعرية ظاهرة واضحة في عائلة زهير بن ابي سلمى.

وممن أشار الى الأقليمية القاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة)(٧٨) حين تحدث عن تأثير البداوة في الشاعر وكيف نجد في الشعراء البدوي الجافي الجلف صاحب الألفاظ الكزة والكلام المعقد والخطاب الوعر مستشهداً بكلام النبي (ص): ((من بدا جفا)) وبذلك يكون النبي اسبقهم جميعاً في الإشارة الى الأقليمية وتأثير البيئة ويضرب الجرجاني لذلك مثلاً في شعر عدي الجاهلي من انه اسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤبة لملازمة عدي الحاضرة وبعده عن جلافة البدو وجفاء الأعراب ثم يتحدث عن اثر التحضر في الشعر.

اما ابن رشيق(٧٩) (ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧١ م) فقد تحدث عن مطالع القصائد وعن تأرجح الشعراء بين المطالع القديمة والحديثة وعن هؤلاء الذين يصفون الإبل في قصائدهم ويقطعون الصحراء الى ممدوحيهم ولم يركبوا ابلا ولم يسكنوا صحراء. وعاب في عنف على هؤلاء الذين يتبعون في أدبهم مسالك الذين تقدموهم بقوله: ((ولا معنى لذكر حضري الديار ألا مجازا)) ويذكرون الإبل وانما خصها البداة بالذكر لكثرتها، وعدم غيرها ولصبرها على التعب. ولم يكن أحدهم يرضى بالكذب فيصف ما ليس عنده كما يفعل المحدثون.

اما الثعالبي(٨٠) (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٨ م) فقد تحدث في فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان. وذكر ان أسباب هذا الفضل يعود الى قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز، وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم إياهم.

---

(٧٨) القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيزبن الحسن (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، ص ١٨.

(٧٩) ابن رشيق، العمدة، ج١، ص ٢٢٥ – ٢٢٦.

(٨٠) ابو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر، ج١، ص ٨.

(١٨)

وفي العصر الحديث ذكر مؤرخو الأدب هذه الأقليمية ضمن تقسيماتهم السياسية للعصور الأدبية. فجرجي زيدان ذكر في حديثه عن الأقاليم قوله:[٨١] ان القواعد الثابتة في علم الطبيعة ان للأقليم تأثيراً في أخلاق الناس وأبدانهم ويقال على الأجمال ان أهل البادية أصفى ذهناً من سكان المدن وأهل البلاد الباردة أسرع حركة واكثر نشاطاً من أهل البلاد الحارة وفي البلد الواحد يفضل أهل الجبال على أهل السهول نشاطاً وصفاء ذهن.

ولعل الإسكندري[٨٢] في كتابه (تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي) أول مؤرخي الأدب المحدثين إشارة الى الأثر الأقليمي ودوره في قسمة الأدب العربي حين عرض لما اسماه بعصر الوقوف في العصر العباسي (٩٤٥هـ/١٢٥٨ م) الذي غلب فيه الديلم على بغداد وانقسام الدولة الى ممالك. إذ قسمه الى جزئين: حالة اللغة العربية وادبها في الممالك الشرقية واراد بالمشرق شرقي دجلة الى الهند والصين والترك ويضاف اليها العراق. وحالة اللغة وادبها في الممالك الغربية وهي: بلاد الجزيرة والشام ومصر إذ كان حكامها وشعوبها إما سلائل عرب أو مستعربين ولمح الإسكندري. وحدة الحوادث ووحدة التبعية السياسية واشار بإيجاز مخل الى وحدة الجنس والى وحدة المكان والزمان.

واحمد حسن الزيات في (تاريخ الأدب العربي) الذي اعتمد التقسيم السياسي فيه قال[٨٣] : ان الكلام في كتابه يتناول العباسيين في بغداد والبهويهيين في فارس والحمدانيين في الشام والفاطميين في مصر والمغرب والأمويين في الأندلس ومع ذلك فكأنه لم يرضَ ان تكون له هذه اللفتة السريعة فأنتهى الى ما

---

(٨١) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة الأدبية، ج١ ص ٧٣.

(٨٢) شكري فيصل، مناهج الدراسة الادبية، ص١٧١.

(٨٣) احمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص ٢٣١ الهامش.

يأتي في قوله[٨٤] : إلا ان هذه الأصقاع على تباينها وثنائيتها انما كانت تأتم بهدي بغداد وتستمد منها ولذلك لا نذكرها الا لماماً.

وفي كتابه (مقدمة لدراسة بلاغة العرب)[٨٥] تحدث د. أحمد ضيف عن النظرية الاقليمية خلال عرضه لمذاهب النقد الأدبي في فرنسا ولكنه وقف عندها وقفة طويلة فأجمل شرح نظرية (تين).

وعرض د.طه حسين (في الأدب الجاهلي) للنظرية الأقليمية[٨٦] ضمن عرضه لمختلف المناهج الأدبية.

غير أن أمين الخولي[٨٧] أراد أن يجعل منها النظرية الأولى التي يريد ان يعتمد عليها في الدراسة الأدبية فيدعو لها ويلح في الدعوة فيخلص الى تمييز الأدب المصري والى تمييز الاداب الأخرى في كتابه (الأدب المصري فكرة ومنهجاً).

نقد النظرية الأقليمية[٨٨]

١ - إهمال شخصية الأديب:

وقد تنبه الجرجاني ببراعة الى هذه الناحية بقوله[٨٩] : ((وأنت تعلم أن العرب مشتركة في اللغة واللسان وانها سواء في المنطق والعبارة وانما تفضل القبيلة بشيء من الفصاحة. ثم تجد الشاعر منها مفلقاً وابن عمه وجار جنابه

---

(٨٤) المرجع السابق، ص٢٣١.

(٨٥) شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية، ص ١٧٥.

(٨٦) طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص ٤٤.

(٨٧) شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٨٨) المرجع السابق، ص ١٨٥.

(٨٩) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، ص ١٦.

ولصيق طنبه بكيئاً مفحماً. وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر والخطيب ابلغ من الخطيب ....))

٢ – خروج بالادب عن حقيقته وغايته:

(أ) تجريده من أن يكون مؤثراً.

(ب) كيف يعلل تطوره في رقيه وانحطاطه وفي تنوعه وتلونه حين تكون البيئة هي البيئة.

(ج) ماذا يقال في الأدب العبقري الذي يغير من الظروف.

(د) ماذا تقول الاقليمية عن آثار الأدباء في الثورة الفرنسية وغيرها من ثورات العالم الكبرى (فالادب نبتة قابلة، ونبتة فاعلة).

٣ – تقود الاقليمية الى الأيمان بالضرورة الحتمية.

(١٩)

عند ملاحظة البيئتين (المادية) و(المعنوية) ينبغي في الأولى ألا نستبعد البيئة الفسيحة التي أظلها الإسلام ولكنها لم تنتج أدباً عربياً بل أنشأت أدباً بلغاتها القومية وألا نغفل وجوه التشابه بين هذه البيئات حين نلاحظ وجوه الافتراق.

يجب عدم إغفال وجوه التشابه بين هذه البيئات حين نلاحظ وجوه الافتراق. أما البيئة المعنوية فلا بد من الانتباه الى وجوه الاتفاق الكثيرة في (العقيدة) و(الحياة الاجتماعية) و(الثقافية) بسبب استمدادها من مصدر واحد في مختلف البقاع الإسلامية[٩٠].

ففي الأدب العربي خاصية غريبة لا يشاركه فيها أدب آخر ذلك انه ظل طيلة هذه العصور يمتاح ألفاظه من اللغة العربية في مختلف البقاع الإسلامية تربط بين الأفكار وتوحد بين المنازع. فواقع هذا الأدب يضعنا أمام هذه الظاهرة

---

[٩٠] شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية، ص١٩١.

الغريبة وهي ان العاطفة الوطنية[٩١] لم تجد لها في الأدب العربي الوتر الذي يبين عنها والشعر الذي يموج بحرارتها[٩٢].

(٢٠)
نظرية المذاهب الفنية

تنشد هذه النظرية التقاء الخصائص الفنية في جماعة من الكتاب أو جماعة من الشعراء نزعوا عن رغبات متقاربة ونهجوا مسالك متوازنة. فلا تقف عند التقاء شاعرين على معنى وتعاقب ناثرين على أسلوب ولكنها تتعمق ما وراء ذلك فتلمح الخصائص الفنية الذاتية التي يشترك بها هؤلاء الأدباء وهي مضطرة لأن تهجر كل ألوان التقارب الزمني أو السطحي أو الشكلي لتنبش عن ألوان التقارب الداخلي والفني العميق[٩٣].

ونظرية المذاهب الفنية هذه نجدها مبثوثة في كتب الأقدمين فقد ألمح المرزباني في (الموشح) الى المدارس الأدبية إلماحاً خفيفاً حين قسم الشعراء هذه القسمة الثلاثية[٩٤] : الجاهليين والإسلاميين والمحدثين وهو فيما يبدو لم يرد رعاية الزمن بمقدار ما قصد الى رعاية الناحية الفنية.

---

(٩١) يدعو بعض الأوربيين الى: " أن تعاد كتابة التاريخ الأدبي بوصفه تركيباً وعلى مستوى فوق القوميات وانه ستشتد حاجة دراسة الأدب المقارن بهذا المعنى الى الكفاءات اللغوية التي يتحلى بها الباحثون وسوف تتطلب منظورات واسعة وإخمادا للعواطف المحلية والأقليمية وهي أمور ليس من السهل تحقيقها ومع كل ذلك فالأدب واحد كما الفن والإنسانية كلاهما واحد وفي هذا المفهوم يكمن مستقبل الدراسات الأدبية التاريخية". انظر لاوستن وارين، نظرية الادب، ص ٦٣.

(٩٢) شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية، ص ٢٠٥.

(٩٣) المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٩٤) المرزباني، الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، ص ٢٦ و ١٥٦ و ٨٤.

ويسرد ابن رشيق في (العمدة)[٩٥] طائفة من التصنيفات يلمح في بعضها الإجادة وذلك في قوله: وقالوا الشعراء أربعة: شاعر خنذيذ وهو الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره. وشاعر مفلق وهو الذي لا رواية له إلا انه مجود كالخنذيذ في شعره. وشاعر فقط وهو فوق الردئ بدرجة. وشعرور وهو لا شيء. وفي قوله[٩٦] : بل هم شاعر مفلق وشاعر مطلق وشويعر وشعرور وفي تصنيف آخر له لمح المذاهب الفنية حين قسم طبقات الشعراء الى أربع: جاهلي قديم ومخضرم وإسلامي ومحدث ومن ثم صار المحدثون طبقات: أولى وثانية على التدريج وهكذا في الهبوط الى وقتنا هذا. ورغم انه يسير هنا بين القسمة الفنية والقسمة الزمنية ولكنه يزاوج بينهما فلا يختفي الشعراء المخضرمون عنده في موجة الشعراء الجاهليين، ولا في الشعراء الإسلاميين وانما هم طائفة خاصة لها مميزاتها ومشخصاتها الفنية وليس المحدثون سواء ولكنهم طبقات.

(٢١)

وعند المحدثين نقرأ في (الوسيلة الأدبية) للمرصفي تصنيف الشعراء الى ثلاث طبقات[٩٧].

الطبقة الأولى: من جاهليين وإسلاميين من المهلهل الى بشار (ت ١٦٧هـ/ ٧٨٣ م).

الطبقة الثانية: للمحدثين الذين كانوا يحرصون على موافقة العرب من ابي نواس (ت

---

(٩٥) ابن رشيق، الحسن بن رشيق ابو علي (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، العمدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج١، ص ١١٤ – ١١٥.

(٩٦) المرجع السابق، ج١ ص ١١٥.

(٩٧) شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية، ص ١٣٦.

٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م) إلى القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ/ ١٢٠٠م).

الطبقة الثالثة: الذين غلب عليهم الإفراط في البديع وهم من القاضي الفاضل حتى العصر الحاضر.

اما الخالدي[٩٨] في كتابه (فكتور هوجو وعلم الأدب عند الفرنج والعرب) فقد قسم الشعراء الى أربع طبقات قسمة متأثرة بالمذاهب الفنية : طبقة جاهلية وطبقة إسلامية وطبقتان أخريان في العصر العباسي هما: طبقة عامة الشعراء، وطبقة فلاسفة الشعراء.

وعرض د. طه حسين[٩٩] الى مدرسة زهير وأبان عن خصائص هذه المدرسة التي شارك فيها زهير اوس بن حجر من قبله والحطيئة وكعب من بعدهما وجميل بعد الحطيئة ووجد في هؤلاء مذهباً فنياً متكاملاً يأخذ به جيل عن جيل النهج الفني في تصوير الأشياء وفي إفاضة كل العناصر المادية حول التشبيه وفي الاهتمام باللفظ وفي رعاية الأسلوب وتنقيحه. وذكر طه حسين ان الأقدمين تحدثوا عن ذلك تصريحاً وتلميحاً حين أشاروا الى ان زهيرا كان مادياً شديد التأثر بالحس وثانيهما انه فنان اتخذ الشعر حرفة وصناعة. ونقرأ في كتابي د. شوقي ضيف (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) و (النثر ومذاهبه في النثر العربي) انه خلص الى شيئين هما[١٠٠] :

١-عدم التجديد في الشعر العربي وان هذا الشعر يستمر في اغلب جوانبه بصورة واحدة.

٢- تقسيم النقاد للشعراء على انهم أصحاب طبع واصحاب صنعة هي أسطورة كبرى في التاريخ الأدبي فليس هناك شيء من طبع فقد كان الجاهليون

---

(٩٨) المرجع السابق ص ١٣٧.

(٩٩) طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص ٢٨١ -٢٨٢.

(١٠٠) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص ٧ و ٨ و ١٠.

يصنعون شعرهم صناعة ويعملونه عملاً.

وقد قاس د. شوقي ضيف النثر على الشعر قياساً صارماً حاداً فإذا رأى انه استوى له هذان الأصلان مضى يستقري الشعر العربي في صوره الفنية كلها ليلخصها في هذه المذاهب الثلاثة[١٠١].

١- الصنعة ٢- التصنع ٣- التصنيع.

فألاولى تعني[١٠٢] ان الشعراء جميعاً أصحاب صنعة وجهد وتكلف وان الجاهلي كان يقبل على صناعته إقبال الصانع على حرفته وقد اتخذ من زهير رمزاً لهذا المذهب ولحظ استمراره وسيطرته على الشعراء في العصرين الجاهلي والإسلامي اما التصنع[١٠٣] فهو مذهب جديد يعتمد على الزخرف والزينة والشعر في رأي أصحابه حلي وترصيع وبديع وقد مثله مسلم بن الوليد ثم ابو تمام وابن المعتز اما مذهب التصنيع[١٠٤] فيقوم على إعادة الصور المطروقة والمعاني المسبوقة بأساليب من اللف والدوران واتيان المعنى من بعيد ثم يحاول الشاعر بعد ذلك ان يضيف تعقيداً الى أساليب الزخرف والتنسيق الموروثة أو يضيف تعابير وتراكيب شاذة من (نحو) أو (تصوف) أو (تفلسف) وما لبث ابو العلاء ان أوفى بهذا المذهب على غاية من التعقيد الشديد في لغته

---

[١٠١] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي:

في مذهب الصنعة ص١٣ وما بعدها

مذهب التصنع ص٢٣٥ وما بعدها

مذهب التصنيع ص١٩١ وما بعدها

وهي المذاهب الثلاثة نفسها التي ذكرها د. شوقي ضيف في كتابه السابق على هذا الكتاب وهو (الفن ومذاهبه في الشعر العربي). تنظر الهوامش الاتية

[١٠٢] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص ١١ وما بعدها.

[١٠٣] المرجع السابق ص ٢٧٧ وما بعدها.

[١٠٤] المرجع نفسه ص١٧٢ وما بعدها.

وأوزانه. ويرى ان الشعراء بعد ذلك جمدوا عند هذه المذاهب لم يتجاوزوها الى مذهب جديد.

(٢٢)

وتمتاز نظرية المذاهب الفنية بأنها تجمع بين قدرات المؤرخ الأدبي وبين قدرات الناقد. وتزاوج بين الذوق والعقل فتناسب طبيعة التاريخ الأدبي باعتبارها طبيعة مرنة بين العلم والفن. كما تقوم على تصحيح التراث الأدبي لأن الإحاطة بالمذهب الفني للشاعر والمدرسة الفنية لطائفة من الشعراء تعصم من كثير من الشعر المنحول اعتماداً على طائفة من القصائد التي اتفق الرواة عليها لتكون نقطة البدء في انطلاقنا نحو ارتياده وتحقيقه في ظلال المذاهب الفنية. وتهيئ هذه النظرية الوحدة والانسجام في محاولتها ادراك خيوط الصلة العميقة بين الشاعر والشاعر وبين الكاتب والكاتب[١٠٥] الا انه يخشى على هذه النظرية الا تأخذ نفسها بهذا التتبع الدقيق للروح الفنية عند الشعراء جميعاً وان تقتصر على القمم الشامخة في الأدب العربي، ويخشى أيضاً ان تأخذ هذه النظرية نفسها بأفكار سابقة على الدرس كالاعتقاد ان هؤلاء غلب عليهم الطبع وأولئك عليهم الصنعة. وعن الذين لزموا عمود الشعر والذين خرجوا عنه. فينبغي الحذر من أن تنقلب الوسيلة هدفاً والهدف وسيلة فتصنف المدارس الأدبية أولاً ثم تحاول ان تقيس بها الأدباء ثانياً لأن هذه النظرية نهاية وليست بداية إذ تقوم على عمل واسع عريض فتتسنم ذروته[١٠٦].

(٢٣)

نظرية الفنون الأدبية:

تسير هذه النظرية مع الفن الأدبي في كل مراحله الزمنية واقطاره عن

---

(١٠٥) شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية، ص١٤٧.

(١٠٦) المرجع السابق ص ١٥٣ وما بعدها.

المشهورين والمغمورين بطريقة استقرائية فتدرس شعر الحرب وشعر الطبيعة وشعر الرثاء وشعر الهجاء.

ولعل أول من أشار اليها -حديثا- جرجي زيدان[107] الا أنه لم يطبقها في كتابه (تاريخ الأدب العربي) ورجح استخدام الطريقة المدرسية (السياسية) إلا أن هذه النظرية تجزيء نتاج الشاعر أو الكاتب فتدرسه موزعاً بين الفنون المختلفة. وتهمل صاحب النص فهي مسوقة ان تفصل بين القصيدة والشاعر وبين الأثر والكاتب. ومن العيوب أيضاً ما يتصل بواقع الشعر العربي فالقصيدة العربية شاعت زمناً طويلاً لا تعرف وحدة الموضوع وانما تعرف وحدة البيت والتنوع في الأغراض. وتطبيق هذه النظرية ينتهي الى تجزئة ما بين اقسام القصيدة وتجزئة الأثر الفني بحجب كثير من مميزاته[108] وقد ظهرت بعض الدراسات الحديثة في تطبيق هذه النظرية. ومنها رسالة الدكتوراه لسيد نوفل الموسومة بـ(شعر الطبيعة) وكتاب (شعر الحرب في أدب العرب) لزكي المحاسني وكتاب (الهجاء والهجاؤن) للدكتور محمد محمد حسين.

(٢٤)

النظرية الثقافية:

ترى هذه النظرية ان الأدب ثمرة من ثمرات الثقافة تتبلور فيه طائفة من المشاعر والأفكار ومهمتنا في دراسة الأدب ان نحل هذه الآثار الأدبية فنتبين فيها العناصر الثقافية التي تعاونت عليها. فتتناول الأدب تناولاً مباشراً فلا تقف عند رصد الظواهر وتسجيلها ولكن تردها الى أصولها الأول في التيارات الثقافية التي

---

[107] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج١ ص ١١.

[108] شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية، ص ٨٣ وما بعدها.

كانت تلف العالم الإسلامي التي اثرت في الاساليب والموضوعات[109].

إلا ان عيب هذه النظرية انها تغفل العناصر الأخرى المؤثرة فيه فتغفل نفس الأديب وتُعنى بالعناصر العقلية دون عناصره العاطفية باعتبارها غير خاضعة للوزن والقياس وهي أيضاً تهدر الأثر الفردي وتسوق الأدباء جميعاً في طريق واحد، وتنظر اليهم نظرة واحدة مقتصرة على العناصر الباردة من الفكر. وهي خطيرة على التاريخ الأدبي حين تجنح الى تعميمات واسعة واحكام عامة فتزعم – مثلاً – ان فلاناً الشاعر قد ثقف بالثقافة الفارسية فكل ما عنده من خصائص الشعر يرتد الى هذه الثقافة[110].

(٢٥)

نظرية الجنس:

تدعو هذه النظرية الى دراسة الأدب العربي على أساس قومي باعتبار ان الأدب العربي لم يكن أدب العرب وحدهم وانما أدب شاركت فيه أمم أخرى اجتذبتها الفكرة الإسلامية معتقدة ان بين هذه الأجناس فروقاً أصيلة تتجاوز النطاق المادي في السحنة واللون وغيرها الى النطاق المعنوي من الحياة العقلية والشعورية. وان اللغة العربية والإسلامية – كما تقول – لم يستطيعا ان يمحوا هذه الفروق. أو هو لم يكسر من حدتها بحيث تكون عاملاً ثانوياً في تلوين الأدب[111].

غير ان ما يفسد تاريخ الأدب العربي الأيمان بأثر الوراثة العرقية في مميزات شاعر لينسحب هذا الأيمان ويتسع فيشمل الشعراء جميعهم والأدب

---

(١٠٩) المرجع السابق ص ١١٣.

(١١٠) المرجع نفسه ص ١٢٣.

(١١١) المرجع نفسه ص ٩٢.

العربي كله يتعدى فيفرض على دراسة هذا الأدب منهجا معينا فتلك الأجناس لم تكن متميزة ولم تكن تلك الفروق صارخة ماثلة يصح ان نؤرخ الأدب بها فرواسبها لم تلبث ان ذابت أو أوشكت عن طريق اللغة والعقيدة(١١٢).

ويبدو ان مصادر الخطأ الذي يخالط هذه النظرية هو النزعات السياسية التي ظهرت عند الشعراء أو الكتاب فعبروا عن رغبات مكبوتة لا يتصل اغلبها بالوراثة العرقية. فقد يكون من الطرافة ان نفسر استعمال الحال عند عبد الحميد(١١٣) الكاتب على هذا النحو الذي استعمله فيه أو الاهتمام بتصوير الطبيعة عند ابن الرومي(١١٤) بأنها من اثر جنس(١١٥) معين ولكن من الخطأ ان نعمم هذا التفسير على نتاج الأديب كله أو الأدب العربي جميعه(١١٦) فليس على إقامة التاريخ الأدبي على نظرية الجنس من الوجهة النظرية أو العلمية لاختلاط الأجناس في الوطن الإسلامي بسبب الوحدة المعنوية بإهدار قيم العصبية ونزعات الاستعلاء وبسبب الوحدة المادية التي في الاختلاط والتصاهر والاسترقاق والتسري فكانت أثراً علمياً للأولى(١١٧) ومن الناحية العلمية فان العلماء لم يستقروا على توزيع الأجناس وخصائصها(١١٨).

---

(١١٢) نفسه ص ٩٢ -٩٣.

(١١٣) طه حسين، من حديث الشعر والنثر، ص٤٢، اقرأ الرد على هذا الرأي في شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ١١٧ وما بعدها.

(١١٤) المرجع السابق، ص ١٣٦.

(١١٥) ذكر تأثير الأجناس في الأفراد والأدباء، جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج١ ص ٢٢.

(١١٦) شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية، ص ٩٣.

(١١٧) المرجع السابق، ص ٩٤.

(١١٨) علي عبد الواحد، علم اللغة، الفصل ٢ ص ١٩٥ وما بعدها وانظر رمضان عبد التواب. فصول في فقه العربية، ص ٢٥ وما بعدها.

خاتمة

-١-

نخلص بعد هذا العرض والاستقراء الى أن الأدب لم يكن معظم حياته ضيق الدلالة، خاص المعنى. بل كانت دلالته ولا زالت في نمو مطرد ولعلها اليوم أوسع وأشمل من الأمس. على الرغم من بروز ظاهرة التخصص (الدقيق) وتحديد المفاهيم وحصرها في تعريفات. إلا أن (الأدب) لم يخضع لتعريف ولم يحدد بـ(مفهوم) ذلك لأن الحياة كلها موضوعه ومجاله.. الإنسان بفكره وشعوره والطبيعة – بكل أشكالها وألوانها – مادته. وفي العصر الحديث صار الأدب أكثر شمولية وأكبر مسؤولية في تناول مشكلات الأنسان والحضارة والكون وتأثير بعضها على البعض الآخر. بل وفي تقديم الحلول وإيجاد البدائل بأساليب وصياغات مزدوجة تجمع بين (الفكر) و(الشعور) ومن هنا كانت مسؤولية الأدب الكبرى وأهميته.

-٢-

أما مناهج تاريخ هذا الأدب فليس هناك منها ما يخلو من معايب ويبرأ من نقص ولكن ما هو أرجح للاستخدام وأقرب للموضوعية والواقعية وأصدق في التعبير عن حياة الأدب وما طرأ عليه من أحوال وتغيرات. إن النظرية الاقليمية هي المنهج الأرجح – فيما أرى – عند مقارنتها مع المناهج الأخرى. وهي بعد ذلك منهج عملي لتسهيل درس الأدب بدلالته العامة وهو أقربها الى روح الدراسة الأدبية. وحين نرجح المنهج على غيره لا نريد أن نبتعد به عنها ونجعله الوحيد في التأريخ للأدب إذ ليس من العلم الأيمان بنظرية (العامل الواحد) في تكوين الحياة أو ظواهرها. أنما هو ترجيح فحسب.

ولكي يكون هذا الترجيح والاختيار أكثر سلامة وعملية وأقرب الى الموضوعية في تاريخ الأدب العربي ينبغي مراعاة ما يأتي:

١–عدم إغفال المناهج الأخرى واستخدامها عوامل كشف ومساعدة والتأكيد فيها على (الأصالة) و (العبقرية الذاتية) عند كل أديب.

٢–تلحق الاقاليم الصغيرة بالكبيرة منها عند تشابه أو تقارب ظروفها وفي حالة التجاوز فقط فمن الاقاليم – مثلا – عند استخدامها هذا المنهج: ١–بلاد الشام ٢ –الجزيرة العربية ٣– الاندلس ٤ – الخليج العربي ٥– المغرب العربي وهكذا.

٣– يلحق الأديب الى الأقليم الذي اقام فيه أطول مدة ويرجح مكان ولادته وإقامة أسرته عند تعدد أماكن هذه الإقامة.

٤–استبعاد (الحتمية) في الاحكام لأن هذا النهج أحد أهم العوامل في التاريخ الأدبي وليس كلها.

٥–الانتباه الى البيئة المعنوية وأهمها العقيدة الإسلامية التي نشرت ظلالها على عالم واسع رحيب. وكان لها الدور الكبير في تكوين الأفكار والعواطف أو التأثير فيهما في الأقل.

٦–الانتباه الدائم الى أننا نؤرخ لأدب كتب بلغة واحدة وهي اللغة العربية التي طبعت هذا الأدب بطابعها. ومدت جسوراً متينة لا يمكن إغفالها بين مختلف هذه الأقاليم في تشكيل الأفكار والمشاعر التي نؤرخ لها تحت أسم (الأدب) بدلالته الشمولية.

المصادر والمراجع

١- ابن الاثير :- عز الدين علي بن أبى الكرم أبو الحسن (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م)، النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه مصر، ١٣٥٤ هـ/١٩٣٥م

٢- احمد حسن الزيات، تاريخ الادب العربي، ط ٢٨، دار الثقافة بيروت، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.

٣- اسامة بن مرشدبن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري، (ت ٥٨٤ هـ/١١٨٨م)، لباب الاداب، تحقيق احمد محمد شاكر، المطبعة الرحمانية، مصر، ٣٥٣ ١هـ/١٩٣٥م.

٤- أبو اسحاق الحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ/١٠٦١م) ابراهيم بن علي القيرواني، ابو اسحاق (ذيل زهر الاداب) جمع الجواهر في الملح والنوادر، مصر، ٣٥٣ هـ - ١٩٤٣م، د. ن.

٥- اسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه، مطبعة السعادة، مصر، د. ن.

٦- الاصفهاني، ابو الفرج (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٧م)، الأغاني، تحقيق احمد عبد الستار فراج، مطبعة دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٧- الآمدي (ت ٣٧٠ هـ/٩٨١م)، الموازنة، تحقيق احمد صقر، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٣٨٢ هـ/١٩٧٢م.

٨- ابن الانباري :- (ت ٣٢١ هـ/٩٣٢م) نزهة الالباء في طبقات الادباء، تحقيق ابراهيم السامرائي، ط٢، نشر مكتبة الاندلس، ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠م.

٩- اوستن وارين ورينيه ويليك، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الدين الخطيب، ط٣، مطبعة خالد الطرابيشي، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢م.

١٠- الباخرزي (ت ٤٦٧ هـ/١٠٧٤م)، دمية القصر، ط١، المطبعة العلمية، حلب ١٣٤٨ هـ/١٩٣٠م.

١١- البحتري : الوليد بن عبيد ابو عبادة (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧م)،

- الحماسة، تحقيق كمال مصطفى، ط١، مطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٤٧هـ /١٩٢٩م.

- الحماسة، تحقيق لويس شيخو، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧

الحماسة، ط١، بيروت، ١٣٢٨ هـ/١٩١٠م.

- الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر،١٣٨٣ هـ/١٩٦٣م.

١٢- البطليوسي، ابن السيد (ت ٥٢١ هـ/ ١١٢٦م)، الاقتضاب في شرح ادب الكتاب، بيروت،١٣٢١هـ/ ١٩٠١.

١٣- ابو تمام : (ت ٢٣١ هـ/٨٤٥م)

- الديوان – شرح الخطيب التبريزي – تحقيق محمد عبدة عزام، دار المعارف، مصر، ١٣٧٠ هـ/١٩٥١م.

- ديوان الحماسة، برواية الجواليقي، تحقيق عبد المنعم احمد صالح، دار الرشيد، مطبوعات وزارة الثقافة العراقية، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م.

١٤- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، مصر، ١٣٩٥ هـ /١٩٧٥م.

١٥- ابن جني : (ت ٣٩٢ هـ/١٠٠٢م)، الخصائص – تحقيق محمد علي النجار، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧٥ هـ ١٩٥٧م.

١٦- الجوهري (ت ٢٤٧ هـ/٨٦١م)، الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٧٧ هـ/١٩٧٦م.

١٧- حاوي، ايليا سليم، ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ /٨٩٥م)، مطبعة دار الكتاب، بيروت، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠م.

١٨- الرازي : (ت ٦٦٦ هـ/١٢٦٧م)، مختار الصحاح، بعناية محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م.

١٩- ابن رشيق، الحسن بن رشيق ابو علي (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، العمدة، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط٤، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٢٠- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ط٢، مطبعة دار الجيل مصر، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م.

٢١- ابن الرومي : (ت ٢٨٣ هـ/٨٩٦م)، الديوان، اختيار وتصنيف كامل الكيلاني،

مطبعة التوفيق الاديب، مصر، د. ن.
٢٢- الزركلي، الاعلام، ط٣، مطبعة xعلى الاوفسيت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
٢٣- الزمخشري، هبة الله (ت ٥٣٨ هـ/١١٤٣م) أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
٢٤ – الزيات : احمد حسن، (١٣٨٨ هـ/١٩٦٨م) تاريخ الادب العربي، ط٢٨، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٩م.
٢٥ – شوقي ضيف، البحث الادبي، ط٢، دار المعارف، مصر،١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م.
٢٦- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الاموي، ط٥، دار المعارف مصر، ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م.
٢٧- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط٩، دار المعارف، مصر، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م.
٢٨- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر، ط ٧، دار المعارف، مصر، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤م.
٢٩- شوقي ضيف، فن النقد الادبي، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.
٣٠- الصولي ابو بكر (ت ٣٣٥ هـ/٩٤٦م)، اخبار ابي تمام، تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبدة عزام، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.
٣١ – طه حسين، تجديد ذكرى ابي العلاء، ط٨، دار المعارف، مصر، مصر، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م.
٣٢- طه حسين وجماعته، التوجيه الأدبي، دار المعارف، مصر، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م.
٣٣- طه حسين : حديث الأربعاء، ط١٢، دار المعارف، مصر، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م.
٣٤- طه حسين، في الأدب الجاهلي، ط١١، دار المعارف، مصر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٣٥- طه حسين، من بعيد، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م.
٣٦- طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م.

٣٧- طه حسين، من حديث الشعر والنثر، ط١١، دار المعارف، مصر، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م.

٣٨- طه حسين، من لهو الصيف، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م.

٣٩- عباس محمود العقاد، بحوث في اللغة والأدب، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠م.

٤٠- عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، مطبعة السعادة، مصر، د. ن.

٤١- علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م.

٤٢- الغزالي، ابو حامد (ت ٥٠٥ هـ/١١١١م)، إحياء علوم الدين، مطابع سجل العرب، مصر، ١٣٨٧ هـ /١٩٦٧م.

٤٣- القالي، ابو علي (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٧م) الامالي، دار الافاق الجديدة، بيروت،١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، مراجعة لجنة احياء التراث.

٤٤- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م.

٤٥- مجمع اللغة العربية المصري، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م.

٤٦- مجمع اللغة العربية المصري، المعجم الوسيط، اخراج ابراهيم انيس وجماعة، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٣م.

٤٧- محمد علي بن علي التهاوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تصحيح محمد وجيه وصاحبيه، طهران، ٣٧٦ هـ/١٩٥٧م.

٤٨- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ط٣، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧م.

٤٩- محمد غنيمي هلال، دور الآداب في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د. ن.

٥٠- محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، مطبعة نهضة مصر،

القاهرة، د. ن.
٥١- محمد غنيمي هلال، في النقد التطبيقي المقارن، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د. ن.
٥٢- محمد عبد العزيز الكفراوي، الشعر العربي بين الجمود والتطور، ط١، مطبعة الرسالة، مصر، ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧م.
٥٣- محمد مندور، الأدب ومذاهبه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤م.
٥٤- محمد مندور، في الميزان الجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م.
٥٥- مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)، تاريخ آداب العرب، ط٢، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٣٥٩ هـ/١٩٤٠م.
٥٦- ابن المقفع عبدالله (ت ١٤٢ هـ/ ٧٥٩م)، الادب الصغير والادب الكبير، دراسة وتحقيق يوسف ابو طقة، ط٣، مطبعة البيان العربي، ١٣٨٤هـ /١٩٦٤م.
٥٧- نالينو، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، ط٢، دار المعارف مصر، ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠م.
٥٨- نوري القيسي وصاحبيه، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، دار الحرية، بغداد، ١٣٣٩ هـ/١٩٧٩م.
٥٩ - هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، ط٣، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
٦٠- الوطوط، محمد بن ابراهيم بن يحيى الانصاري (ت٧١٨هـ/١٣١٨م)، غرر الخصائص الواضحة، دار الطباعة السنية، مصر ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م.

الكشافات

كشاف المصطلحات

أسماء الأعلام

(أ)

(ب)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ن)

(هـ)

(ي)

الأماكن والبلدان

فهرست الآيات

فهرست الأحاديث النبوية الشريفة

منشورات جامعة آل البيت

١.الوثائق الهاشمية المجلد الاول، الاستقلال، ٦٥٠ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٣.

٢.الوثائق الهاشمية المجلد الثاني، صندوق الامة، ١٢٠ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٤.

٣.الوثائق الهاشمية المجلد الثالث، سوريا الكبري والاتحاد العربي، ٥٦٨ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٤.

٤.الوثائق الهاشمية المجلد الرابع، الجامعة العربية، ٣٢٠ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٤.

٥.الوثائق الهاشمية المجلد الخامس، فلسطين، ٥٦٠ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٥.

٦.الوثائق الهاشمية المجلد السادس، الادارة الاردنية في فلسطين، ٤٨٨ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٥.

٧.الوثائق الهاشمية المجلد السابع، الحسين بن علي والبيعة بالخلافة، ٥٩٢ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٦.

٨.الوثائق الهاشمية المجلد الثامن القسم الاول، الخط الحديدي الحجازي ١٩٢٥-١٩٤٩م، ٤١٥ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٧.

٩.الوثائق الهاشمية المجلد الثامن القسم الثاني، الخط الحديدي الحجازي، ٥٤٠ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٦.

١٠.الوثائق الهاشمية المجلد التاسع، العلاقات الاردنية العراقية، ٥٨٢ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٧.

١١.الوثائق الهاشمية المجلد العاشر، العلاقات الاردنية السعودية، القسم الثاني، ٤١٥ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٧.

١٢.الوثائق الهاشمية المجلد الحادي عشر، وحدة الضفتين، ٥٢٢ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٧.

١٣.الوثائق الهاشمية المجلد الثاني عشر، العلاقات الأردنية المصرية، ٥٤٤ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٨.

١٤.الوثائق الهاشمية المجلد الثالث عشر، خط حيفا-بغداد، القسم الاول، ٣٠٠ صفحة، المطبعة الوطنية – عمان، ١٩٩٩.

١٥.الوثائق الهاشمية المجلد الثالث عشر، خط حيفا-بغداد، القسم الثاني، المطبعة الوطنية - عمان، ١٩٩٩.

١٦.الوثائق الهاشمية - جريدة العاصمة، ١-٢، عمان، ١٩٩٨.

١٧.حسين القهواتي، وثائق بلدية نابلس ١٣٣٨هـ/١٩١٩م - ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، مطابع الخط، ١٩٩٧.

١٨.هند ابو الشعر (تحرير)، دراسات في مصادر تاريخ العرب الحديث، مطابع الدستور، ١٩٩٨.

١٩.هند ابو الشعر، اربد وجوارها، بالتعاون مع بنك الاعمال، ٧٠٣ صفحة، الرأى - عمان، ١٩٩٥.

٢٠.نوفان الحمود، عمان وجوارها، بالتعاون مع بنك الاعمال، ٥٣٧ صفحة، الرأى - عمان، ١٩٩٥.

٢١.جورج طريف، السلط وجوارها، بالتعاون مع بنك الاعمال، ٥٣٧ صفحة، الرأى - عمان، ١٩٩٤.

٢٢.زياد المدني، القدس وجوارها، بالتعاون مع بنك الاعمال، ٤٢٠ صفحة، الرأى - عمان، ١٩٩٦.

٢٣.فاروق عمر فوزي، الامامه الأباضية في عمان، ١٠٤ صفحة، مطابع الخط- عمان، ١٩٩٧.

٢٤.عباس محمد محمد زيد، تراجم ائمة اهل البيت الزيدية، ١٤٠ صفحة، مطابع الخط - عمان، ١٩٩٧.

٢٥.فاروق عمر فوزي، المدخل الى تاريخ آل البيت-منذ فجر الاسلام وحتى مطلع العصر الحديث، مطابع الدستور، ١٩٩٨.

٢٦.عبدالعزيز محمود، المسح الانثروبولوجي في البادية الشمالية الاردنية، ١٣٦ صفحة، مطابع الدستور التجارية - عمان، ١٩٩٧.

٢٧.صلاح احمد سعيد، دراسات ميدانية للكتابات القديمة في البادية الشمالية الأردنية، مطابع الدستور، ١٩٩٨.

٢٨.معهد بيت الحكمة، أوراق ومحاضرات (١)، الاستقلال القومي والاندماج الاقليمي في العقد الاخير من القرن العشرين، ١٧٥ صفحة، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية - اربد.

٢٩.معهد بيت الحكمة، أوراق ومحاضرات (٢)، ندوة الأمم المتحدة "الاسلام والسياسة"، ٨٨ صفحة، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية – اربد.

٣٠.معهد بيت الحكمة، أوراق ومحاضرات (٣)، ندوة المنهج في العلوم السياسية، تحرير حمدي عبدالرحمن، مطابع الدستور، ١٩٩٨.

٣١.رفاعي سيد سعد، ضمانات المشتكى عليه في التحقيق الابتدائي، مطابع الخط – عمان، ٣١٠ صفحة، ١٩٩٧.

٣٢.احمد الرفاعي (تحرير)، الصناعة المصرفية العربية الاردنية، ١٤٢ صفحة، مطابع الخط – عمان، ١٩٩٧.

٣٣.محمد الحسبان، سلسلة جامعة آل البيت لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ٢٩٠ صفحة، مطابع الدستور – عمان، ١٩٩٦.

٣٤.محمود الحلحولي، عمر عكاشة – سلسلة جامعة آل البيت لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، العربية الوظيفية، المهارات الأساسية، الكتاب الثاني، مطابع الراي، ١٩٩٧.

٣٥.عمر عكاشة – سلسلة جامعة آل البيت لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، العربية الوظيفية، الأصوات، مطابع الراي، ١٩٩٨.

٣٦.داؤد عبدة، سلوا الحلو – سلسلة جامعة آل البيت لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، العربية الوظيفية، التراكيب الاساسية، مطابع الراي، ١٩٩٨.

٣٧.خيرالدين عبدالهادي – سلسلة جامعة آل البيت لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، العربية الوظيفية، المهارات الأساسية، الجزء الأول، مطابع الراي، ١٩٩٨.

٣٨.خيرالدين عبدالهادي – سلسلة جامعة آل البيت لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، العربية الوظيفية، المهارات الأساسية، الجزء الثاني، مطابع الراي، ١٩٩٨.

٣٩.امنه الحايك، احمد الحراحشة – سلسلة جامعة آل البيت لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، العربية الوظيفية، المستوى الثالث،، مطابع الدستور، ١٩٩٨.

٤٠.زيد القراله – سلسلة جامعة آل البيت لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، العربية الوظيفية، المستوى الرابع، مطابع الدستور، ١٩٩٨.

٤١.جمال مقابلة، محمود بركات – سلسلة جامعة آل البيت لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، العربية الوظيفية، المستوى الخامس، مطابع الدستور، ١٩٩٨.

٤٢.مجموعة مؤلفين، اللغة العربية ١٠١، قسم اللغـــة العربيـــة، ٢٤٤ صفحـــة، مطـــابع الدستور- عمان، ١٩٩٦.
٤٣.عبدالقادر ابو شريفة (محرر)، الشعر الحديث في الأردن ونقده، ٢٠٨ صفحة، مطـــابع الخط - عمان، ١٩٩٧.
٤٤.مجدالدين خيري (محرراً)، المكتبة وأساليب البحث، ٣٦٨ صفحة، مطابع الخط - عمان، ١٩٩٧.
٤٥.رنا قنديل، فهرس المخطوطات المصورة في جامعة آل البيـــت، الجـــزء الاول، مطـــابع الدستور، ١٩٩٨.
٤٦.الياس سلامة، نظير الانصاري، علي الناقة، الدليل العلمـــي لمحافظـــة المفـــرق، ١٣٨ صفحة، مطابع الدستور- عمان، ١٩٩٧.
٤٧.محمد الدروبي، عبدالرحمن الهويدي، اللغة العربية - للأقســـام الأدبيـــة والإنســـانية، المستوى الثاني، مطابع الدستور ١٩٩٨.
٤٨.احسان محاسنة، محمد بابكر، نباتات منطقة المفرق وباديتها، مطابع الدستور ١٩٩٨.
٤٩.حسين القهواتي، وثائق بلدية نابلس ١٣٣٨هـ/١٩١٩م - ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، القسم الثاني، مطابع الدستور، ١٩٩٩.
٥٠.نظير الانصاري، الياس سلامة، حسان العمري، تحليل الهواطل المطرية لمحطات البادية الاردنية، مطابع الدستور، ١٩٩٩.
٥١.ناجية عبدالله ابراهيم، دليل المعرض الوثائقي الأول، مطابع الدستور، ١٩٩٩.
٥٢. د. صلاح احمد سعيد، نقوش يونانية من البادية الشمالية الأردنية، مطابع الدستور، ١٩٩٩.
٥٣. عبدالقادر ابو شريفه واخرون، ادب السيرة والمذكرات، مطابع الدستور، ١٩٩٩.
٥٤.عبد القادر ابو شريفة ومحمود الحلحولي، اللغة العربية، الكتاب الثاني لطلبة الاقتصـــاد والعلوم الإدارية، مطابع الدستور، ١٩٩٩.
٥٥.فاضل بيات، اللغة التركية (١)، مطابع الدستور، ١٩٩٩.
٥٦.فاروق عمر فوزي وهند ابو الشعر، بحوث مهداة للأستاذ الدكتور سيد مقبـــول احمـــد، مطابع الدستور، ١٩٩٩.
٥٧.هند ابو الشعر، بناء الدوله العربية الحديثة تجربة فيصل بـــن الحســـين فـــي ســـوريا والعراق، مطابع الدستور، ١٩٩٩.
٥٨.فاضل بيات، رحلة سويلمةمز اوغلي الى بلاد الشام، مطبعة الندى، ٢٠٠٠.

٥٩. الياس سلامة، نظير الانصاري، مشاكل تلوث المياه في منطقة الزرقاء، مطبعة الندى، ٢٠٠٠.

٦٠.أشراف د. نصر صالح، ملخصات رسائل الماجستير، المجلد الاول، مطبعة الندى، ٢٠٠٠.

٦١. أشراف د. نصر صالح، ملخصات رسائل الماجستير، المجلد الثاني، مطبعة الندى، ٢٠٠٠.

٦٢.أشراف د. نصر صالح، دليل الطالب لدرجة البكالوريس، مطبعة الندى، ٢٠٠٠.

٦٣.أشراف د. نصر صالح، دليل الطالب لدرجة الماجستير والدبلوم، مطبعة الندى، ٢٠٠٠.

٦٤.حميد مجول النعيمي، رفيق كندالين، وقائع المؤتمر الدولي الاول في الفلك وعلوم الفضاء، مطبعة الندى، ٢٠٠٠.

٦٥.فاروق عمر فوزي، دراسات في تاريخ عمان، مطبعة الندى، ٢٠٠٠.

٦٦.حمدي عبد الرحمن، التحول الديمقراطي في العالم العربي خلال التسعينات، مطبعة الندى، ٢٠٠٠.

67.Sayyid Maqbul Ahmad, **A History of Arab-Islamic Geography**, 454 page, National Press - Amman, 1995.

68.Omar Shdeifat, P.T. Whelan, **A University Course in Translation**, 144 page, Al-Eman Press - Amman, 1995.

69.Wijdan Ali, **What is Islamic Art**, Amman, 1996.

70.Khalid J.D. Deemer, Zohaa El-Gamal, **The History of the Sudan between the times of Gordon and Kitchener**, Volume I, al-Khat Press, 1998.

الكتب السنوية

٧١. الكتاب السنوي الاول ١٩٩٤-١٩٩٥.

٧٢.الكتاب السنوي الثاني ١٩٩٥-١٩٩٦.

٧٣.الكتاب السنوي الثالث ١٩٩٦-١٩٩٧.

٧٤.الكتاب السنوي الرابع ١٩٩٧-١٩٩٨.

٧٥.الكتاب السنوي الخامس ١٩٩٨-١٩٩٩.

٧٦.الكتاب السنوي السادس ١٩٩٩-٢٠٠٠.

المجلات والصحف

٧٧.مجلة المنارة، علمية محكمة، اشتراك سنوي

٧٨.مجلة البيان، ثقافية فصلية، اشتراك سنوي.

٧٩.مجلة الزهراء، الاعداد من ١-٢٩.

٨٠.جريدة الشورى.

تطلب هذه المنشورات من:

جامعة آل البيت - المفرق - الاردن
هاتف: ٤٨٧١١٠١-٦ فرعي: ٢٢٠٢
ناسوخ: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٨٧١٢٣٢

Al al-Bayt University - Mafraq -Jordan
Telephone: 4871101-6 Ex. 2202
Fax: 00962 6 4871232
E-Mail: aabu@amra.nic.gov.jo
Http://www.nicgov.jo/aabu

The Approach to the Study of Arabic Literature through History or Methodology

Adnan Ubayd al-Ali

Publications of AL al-Bayt University
1421 A.H / 2000 A.D

78

Al al-Bayt University

The Approach to the Study of Arabic Literature through History or Methodology

Adnan Ubayd al-Ali

Publications of AL al-Bayt University
1421 A.H / 2000 A.D